الباب الثالث

قيام الدولة الصهيونية في فلسطين
ومخططاتها ضد الفلسطينيين

قيام الدولة الصهيونية في فلسطين
ومخططاتها ضد الفلسطينيين

قد كفل سيدنا عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه في الوثيقة التي وَقَّعَها لأهلها لدى الفتح الإسلاميّ الأوّل لها ، الذي تمّ بأمره و توجيهه وتحت إشرافه المُبَاشِر، والتي تُعْرَف بـ (الوثيقة العمريّة) أو (العهدة العمريّة) الحريّة الكاملة لكل من النصارى واليهود ، حتى رَفَضَ – رضي الله عنه – طلبَ الأسقفَ الأعظم لدى النصارى ذاك اليومَ: (صفرانيوس) (Sophronius) بمنع اليهود مُسَاكَنَة النصارى في القدس فيما بعد الفتح الإسلاميّ لها ، مُصَارِحًا لهم بأنّ كتابَ الله عَزَّ وجَلَّ لا يَسْمَحُ بمنعهم عن سكنى المدينة . نعم : سيكونون ممنوعين من مُسَاكَنَتِكم في أحيائكم بالمدينة.[1]

وقد شَهِدَ التاريخُ أنّ سلوكَ التسامح الذي عَامَلَ المسلمون به اليهودَ لم يُعَامِلْهُمْ به قطُّ النصارى ، فقد أحرقهم النصارى لدى الفتح الصليبي للمدينة – القدس – بعد ما جَمَعَهم جميعًا في كنيستهم . وظلّت المدينةُ ممنوعة الدخول بشكل كامل بالنسبة لهم في الفترة ما بين ١٠٩٩-١١٨٧م. وإنما سَمَحَ لهم بدخولها صقرُ الإسلام صلاحُ الدين الأيّوبيّ (يوسف بن أيوب بن شاذي أبوالمظفر صلاح الدين الأيوبي المُلقّب بـ (الملك الناصر) ٥٣٢-٥٨٩هـ = ١١٣٧-١١٩٣م) لدى انتصاره على الصليبيين وتحريره للقدس من أيديهم .

ورغمَ تسامح المسلمين مع اليهود لهذا الحدّ ، لم يَنْسَوْا هم – اليهودُ – الذين عُجِنَتْ طينتُهم بالغدر والمكر، والبغي والظلم ، وعصيان الله ورسوله ، عداءَهم المُتَجَذّر في قلوبهم نحوَ المسلمين ، وفي الوقتِ نفسِه لم يَدَعِ النصارى – الذين لقُوْا هزيمةً مُنْكَرَةً في الحرب الصليبيّة ، التي خاضوها مع المسلمين ، على أيدي صلاح الدين الأيّوبي وأخلافه الأبرار وأولادهم النُجَبَاء – عاطفتَهم الصليبيّة تخمد ، وإنما عَمِلوا على إبقائها مُتَأَجِّجَةً في صدورهم بكل ما أتيح لهم من الحِيَل ، وحاولوا عَبْرَ التاريخ أن يُشْبِعُوها بكلّ من الرصيدين القوليّ والفعليّ .

---

[1] أُنْظُرْ نصُّ «العهدة العمريّة» المكتوب على رقّ من الجلد عرضُه شبرٌ وطولُه ستةُ أشبار في «المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار» للمقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسينيّ العبيديّ تقي الدين المقريزي ٧٦٦-٨٤٥ = ١٣٦٥-١٤٤١م) واقرأ كتاب : «القدسُ في ضمير العالم الإسلامي» ص:٥١،نقلا عن فلسطين في انتظار صلاح دين:١٣.

مؤامرة اليهود وخيانتهم:

ولاشكّ أنّ الصليبيين إنّما تحمّلوا مسؤوليّة مناصرة قتَلة الأنبياء: اليهود ، وتنظيم الحركة من أجل إنشاء)وطن قوميّ) لهم في فلسطين وإنجاحها ، وإنشائها فعلاً بشكل غير شرعيّ تمامًا . وحَرَّضوا يهوديًا كاتبًا مَجَريًا اسمُه (تيودر هرتسل)) Tudor Herzel ١٨٦٠-١٩٠٤م) على تولي كبر هذه الحركة ؛ فلم يكتفِ بالكتابة المُكَثَّفة في الموضوع ، وإنما عَقَدَ مؤتمرًا عالميًّا لليهود عامَ ١٨٩٧م (١٣١٥هـ) في مدينة (بازل) Basel بسويز Suisse واتَّخَذه مُنطلقًا للحركة الصهيونيّة من أجل إنشاء وطن قوميّ لليهود في فلسطين ، وشنّ لذلك حركة مُنَظَّمَة قويّة دائبة ، دَعَّمَها أبناءُ الثالوث بكل ما أمْكَنَهم من الأمداد الماديّة والمعنويّة .. إنما تحمَّلوا هذه المسؤوليّة لإشباعهم عِدَاءَهم تجاهَ الإسلام والمسلمين .

وقد سَجَّلَ التأريخُ أنه لإعطاء دفعةٍ عمليّةٍ للقرار الصادر عن المؤتمر اليهوديّ العالميّ بمدينة)بازل) أو (بال) أوْفِدَ يهوديٌّ داهية اسمُه (إيمانويل قره صو) إلى السلطان العثمانيّ الخليفة عبد الحميد الثاني (١٢٥٨-١٣٣٦هـ = ١٨٤٢-١٩١٨م) وقد عَرَضَ هذا اليهوديُّ على السلطان أنّ الحركة الصهيونيّة مستعدةٌ أن تُقدّم قرضًا للدولة العثمانيّة قدره خمس منة مليون من الجنيهات ، وأن تُقدّمَ هديّة خاصّة لخزانة السلطان قدرها خمسة ملايين من الجنيهات ، نظيرَ السماح لليهود بإقامة وطن قوميّ لهم في فلسطين . ([٢])

غيرة الخليفة العثماني

الجديرُ بالذكر أنّ الدولة العثمانيّة كانت تُعَانِي آنذاك أزمة ماليّة قاسية ، وكانت مُحَاصَرَةً حصارًا شديدًا من قبل الأعداء جميعًا . في هذه الحالة لوكان قائد مسلمٌ رسمًا واسمًا مثلَ من نُعَايِشُهُم من القادة المسلمين ، لصَنَع ما لايحتاج لبيان ؛ لكنَّ السلطانَ عبد الحميد الثاني رَدَّ على اليهوديّ المذكور بما يستحقّ أن يُكْتَبَ بمدادٍ من الذهب . وقد سَجَّله المؤرخون المسلمون بكل شعور بالفخر والاعتزاز والاهتزاز :

«بَلِّغوا الدكتورَ هرتزل أن لايبذل بعد اليوم شيئًا من المحاولة في هذا الأمر؛ فإني لستُ مستعدًّا لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد ، لتذهب إلى الغير.. فالبلادُ ليستْ مِلكي ؛ بل هي مِلكُ شعبي ، وشعبي روى تربتَها بدمائه ؛ فليحتفظِ اليهودُ بملايينهم من الذهب.»

وبعضُهم – المؤرخين المسلمين – سَجَّلَ حديثَ السلطان العثمانيّ مع المندوب اليهوديّ بما يلي :

([٢]) فلسطين في...ص: ١٧.

«إن بلادَنا – يعني فلسطين –التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا ، لايمكن أن نُفرّط في شبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلنا من دماء في سبيلها» ثم قال: «ولكن إقامة دولة يهوديّة في فلسطين التي فتحناها بدماء أجدادنا العظام ، فلا... »

ومن خلال الحوار مع اليهوديّ تَوَسَّمَ السلطانُ الشَرَّ الذي يُضْمِره اليهودُ نحوَ القدس وفلسطين ، فاتّخذ خُطُوَاتٍ صارمة لصيانتها ، ومَنَعَ هجرةَ اليهود إليها بمرسوم من عنده ، وفَصَلَها عن إدارة الشام ، وجَعَلَها تحت إدارته مُبَاشَرَةً ؛ حتى يسهل عليه التعاملُ مع أيّ مؤامرة يهوديّة في نفس الوقت الذي يتحتّم فيه التعاملُ معها وتحطيمُ محاولتهم الشريرة في مهدها.

وكانَ السلطانُ «ذنبُه الكبيرُ» يختلج في قلوب الصليبيين وقَتَلة الأنبياء اليهود من قبلُ ؛ حيث كان واضعًا في اعتباره مطامعَ أبناء الثالوث التوسعيّة الاستعماريّة المتزايدة ومُخَطَّطاتهم الجهنميّة نحو العالم الإسلاميّ ، فكان مهتمًّا جدًّا للحيلولة دونها بالدعوة إلى الاتحاد والتضامن الإسلاميّ والتركيز عليه وقد ارتكب الآن ذنبًا أكبرَ من الأوّل وأخطر منه ؛ حيث حَاوَلَ أن يعترض فعلاً سبيلَ محاولة الصهاينة والصليبيين لأهدافهم الاستعماريّة التي كانوا بسبيل تحقيقها في بيت المقدس وفلسطين ؛ فعاد لايستحقّ أن يُغْتَفَر بشكل من الأشكال ؛ حيث انسدّت جميعُ السبل الذاهبة إلى الغفران والتسامح ؛ فقرَّروا إسقاط السلطان من عرش الخلافة ؛ بل إنهاءَ الخلافة العثمانيّة بأسرها . وقد أسقطوه فعلاً وجعلوه في عزلة مُؤْلِمَة مات فيها بعدَ سنوات بعدما ذاق مرارةَ الوحدة القاسية .

إسقاط الخلافة العثمانية

فقد قال «هرتسل» بأسلوب واضح لا غموضَ فيه:

«إنّ فتح أبواب الشرق لليهود في فلسطين ليتوقف بالدرجة الأولى على تدمير الخلافة العثمانيّة»

وقد تَوَلّتْ كِبْرَ ذلك الحركةُ اليهوديةُ الماسونيةُ ، ويهودُ الدونمة بالذات وقد أدّىٰ الإنجليزُ دورًا فاعلاً في ذلك ؛ فقد حَرَّضوا العربَ ضدَّ الأتراك العثمانيّين بأنّ هؤلاء – الأتراك – يعاملون مع الحضارة العربيّة والثقافة العربيّة واللغة العربيّة معاملة التمييز. وكان ذلك بهتانًا صريحًا ضدَّ العثمانيين وجزءًا من المؤامرة البعيدة المدى . وتَوَلّىٰ مسؤولية هذه المهمة الخبيثة ضابطٌ إنجليزيٌّ كاتبٌ «لارينس» Lawrence «١٨٨٨-١٩٣٥م) وقام بها بكلّ من الجدّ والحزم والعزم ، وكان ضابطاً مُنَسّقًا بين الإنجليز والعرب وعمدةَ الاستخبارات البريطانيّ لدى العرب ، وكان نشيطا جدًّا خلالَ الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) وبعدها في مناطق إمارة الشريف حسين والي مكة (الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون الحسنيّ الهاشميّ ١٢٧٠-١٣٥٠هـ = ١٨٥٤-١٩٣١م)

ولاسيّما في الفترة ما بين ١٩١٦-١٩١٨م ؛ حيث قام بتحريض العرب على الأتراك بشكل مُرَكّز جدًّا ، حتى سَمَّتْه الصحافةُ العالميّةُ آنذاك «مَلِك العرب غيرَ المُتَوَّج»؛ حيث أعْلنَ واضحًا أن هدفه الأساسيّ هو تحطيمُ الوحدة الإسلاميّة واستئصال الخلافة العثمانيّة . وصَرَّح أنّه :«لو تمكنّا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأةً وبالعنف ، لقضينا على خطر الإسلام إلى الأبد ، ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم فتمزّقهم من الداخل ، وفي عقر دارهم . وسيقوم نتيجة ذلك خليفةٌ للمسلمين في تركيا ، وآخر في العالم الإسلامي العربيّ ؛ ليخوضا حربًا دينيّة داخليّة فيما بينهما . ولن يخيفنا الإسلامُ بعد هذا أبدًا».

إنّ اللاعبين البارعين هؤلاء في ساحة الاستعمار العالميّ أوْقَدُوا نارًا للحرب العالميّة الأولى في الفترة ما بين ١٩١٤-١٩١٨م كان فيها ألمانيا وحليفاتها طرفًا وبريطانيا وفرنسا وروسيا طرفًا ثانيًا ، وكان العرب مُتَعَاطِفِين مع بريطانيا ؛ لأنّها كانت قد أقنعتْ حَمْقى العرب أنّها صديقتهم الوفيّة . ومن الطريف أنّ اليهود هم الآخرون كانوا واقفين في هذه الحرب بجانب بريطانيا . ودُفِعَت الدولةُ العثمانيّةُ بمؤامرة من اليهود بعيدة المدى – حيث كانوا قد تَحَكَّمُوا في شؤونها الإداريّة المُتَعَلّقة بالحلّ والعقد ، وكانوا قد زرعوا لحدّ كبير الإلحادَ وكراهية الإسلام في المجتمع العثمانيّ والوسط التركيّ – للخوض في هذه الحرب دونما فائدة بجانب ألمانيا . وحسب المُتَوَقّع هُزِمَتْ ألمانيا وحليفاتُها ؛ وانتصرتْ بريطانيا وحليفاتُها ، وتُوَزِّعت أعضاءُ الطرف المُنْتَصِر حسبَ اتفاقيّة «سايكس بيكو »١٩١٦م جميعَ المناطق التي كانت تحكمها الدولةُ العثمانيّةُ ، وبموجب ذلك دَخَلَتْ فلسطين تحت الانتداب البريطانيّ.(٣)

نشأةُ الحركة الصِّهْيُونِيّة:

تعود نشأةُ الحركة الصِّهْيُونِيّة التي سَعَتْ لإنشاء كيان يهوديّ في فلسطين إلى ظهور النزعات الصهيونة – المُؤَيِّدة لتجميع اليهود في فلسطين – وسط مسيحي أوروبّا، وخصوصًا البروتستانت منذ القرن السّادِسَ عَشَرَ، وإلى ظهور الأيديولوجيّات القوميّة والوطنيّة ونشوء الدولة القوميّة في أوروبّا خصوصًا في القرن التّاسِعَ عَشَرَ، وإلى نشأة (المشكلة اليهوديّة) خصوصًا في أوروبّا الشرقيّة، وما تَعَرَّض له اليهودُ من اضطهادٍ على يد الرُّوس، وإلى تَمَكُّن اليهود من الوصول إلى عدد من دوائر النفوذ في أوروبّا وأمريكا، بالإضافة إلى فشل حركة الاستنارة اليهودية (الهسكلا) التي سَعَتْ إلى دَمْج

---

(٣)فلسطين في انتظار...ص:٢٢.

اليهود في المُجْتَمَعَات التي يعيشون فيها .([٤])

فكرة إنشاء الكيان اليهودي:

إن فكرةَ إنشاء الكيان اليهودي ليقوم بدور «الدولة الحاجزة» والتي دَعَّمَها الاستعمارُ الغربيّ . وخصوصًا بريطانيا، تُمَثِّلُ ذروةَ الخطر الغربي – الصهيوني في قلب العالم الإسلاميّ. إذ تَهْدِف إلى شطر جَنَاحَيْ العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا إلى شطرين منفصلين، وهي بذلك تسعى إلى منع وحدته وإضعافه، وإبقائه مُفَكَّكاً وعاجزًا عن النهضة، قابعًا في دائرة التبعيّة، كما تَهْدِف إلى منع ظهور قوة إسلاميّة كبرى، تَحُلُّ مكانَ الدولة العثمانيّة التي كان يَتِمُّ القضاءُ عليها في ذات الوقت. إنّ معادلة بقاء الكيان اليهودي – الصهيوني واستقراره ونموّه – في وَسَطٍ مُعَادٍ – مرتبطة بضمان ضعف ما حوله من أقطار المسلمين وتفكّكها وتخلفها، وكذلك فإنّ معادلة نهضةِ الأمةِ ووحدتِها وقوتها مرتبطة بالقضاء على المشروع اليهوديّ – الصهيونيّ الجاثم على قلبها.([٥])

المنظمة الصهيونيّة العالميّة:

نَشأتِ المنظمةُ الصهيونيّةُ العالميّة في «بال» بـ«سويسرا» في أغسطس ١٨٩٧ بقيادة «تيودور هرتزل» ورَبَطَتْ نفسَها بالمشروع الاستعماريّ الغربيّ، وفَشِلَتْ في الحصول على أيّ شيء ذي قيمة حتى نهاية الحرب العالميّة الأولى. والحركةُ الصهيونيةُ حركةٌ عنصريةٌ قائمة على ديباجات وخلفيات دينية وتراثيّة وقوميّة يهوديّة، وشرطُ نجاحها مرتبطٌ بإلغاء حقوق أهل فلسطين العرب في أرضهم والحلول مكانَهم، ولا فرقَ في جوهر الفكرة الصهيونيّة بين تيّارات علمانيّة أو اشتراكيّة أو دينيّة أو ثقافيّة أو سياسيّة؛ فكلُّهم في النهاية صَهَاينَة توفيقيّون يَسْعَوْنَ إلى الأهداف العليا نفسها .([٦])

الدور البريطاني والاحتلال الصهيوني:

تَبَنَّتْ بريطانيا المشروعَ الصهيونيَّ فأصدرتْ في نوفمبر ١٩١٧م وعد «بلفور» بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتَمَكَّنَتْ من إتمام احتلالها لفلسطين في سبتمبر ١٩١٨، وتَنَكَّرَتْ لوعودها للعرب بزعامة الشريف حسين بالحريّة والاستقلال، وقَسَّمَتْ دوائرَ النفوذ في بلاد الشام والعراق بينها وبين فرنسا وفقَ اتفاقيّات «سايكس – بيكو» مايو ١٩١٦م التي خَطَّطَتْ لجعل فلسطين منطقة دوليّة، ثم إنّ بريطانيا استَأْثَرَتْ بفلسطين وفقَ اتفاقيّات «سان ريمو» (أبريل ١٩٢٠م)، وتَمَكَّنَتْ من إدماج «وعد بلفور» في صكّ انتدابها على فلسطينَ الذي قَرَّرَتْه لها عصبةُ الأُمَم في يوليو ١٩٢٢م.

([٤]) المصدر السابق ص:٥٤.
([٥]) المصدر السابق ص:٥٥.
([٦]) فلسطين في انتظار...ص:٥٦.

فتَحَتْ بريطانيا خلالَ احتلالها لفلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م الأبوابَ للهجرة اليهودية فتَضَاعَفَ عددُ اليهود من ٥٥ ألفًا سنة ١٩١٧ إلى ٦٤٦ ألفًا سنة ١٩٤٨م (أي من ٨٪ من السكان إلى ٣١٪) كما دَعَّمَتْ تَمَلُّكَ الأراضي ؛ فتَزَايَدَتْ ملكيةُ اليهود للأرض من نحو نصف مليون دونم (٢٪ من الأرض)، إلى نحو مليون و ٨٠٠ ألف دونم (٦،٧٪ من أرض فلسطين)، تَسَرَّبَتْ إلى اليهود في الغالب من الحكم البريطاني أو من أيدٍ غير فلسطينية، وتَمَكَّنَ شعبُ فلسطين رغمَ قَسَاوَةِ الظروف والمُعَانَاة من الصمود في أرضه طيلة ثلاثين عامًا مُحتَفِظًا بأغلبيّة السكان ٦٩٪ وبمُعْظَم الأرض ٩٣،٣٪، وقد تَمَكَّنَ اليهودُ تحت حماية الحراب البريطانيّة من بناء مُؤَسَّسَاتِهم الاقتصاديّة والسياسيّة والتعليميّة والعسكريّة والاجتماعيّة. وفي سنة ١٩٤٨م كانوا قد أسَّسُوا ٢٩٢ مُستَعْمَرَةً، وكَوَّنُوا قوات عسكريّة من «الهاغاناه» و«الأرغون» و«شتيرن» (٧) يزيد عددُها عن سبعين ألف مُقاتِل، واستعدُّوا لإعلان دولتهم .

رغم أن المؤامرةَ على فلسطين كانت أكبرَ بكثير من إمكانات الشعب الفلسطيني، إلا أن شعب فلسطين رَفَضَ الاحتلالَ البريطانيَّ والمشروعَ الصهيونيَّ، وطالبَ بالاستقلال، وقامت التيّارات الوطنيّة والإسلاميّة* بزعامة الحاج المفتي أمين الحسيني (١٣١١- ١٣٩٤هـ = ١٨٩٣-١٩٧٤م) بالتعبئة الشعبية والتحركات السياسية والثورات العارمة؛ فكانت ثوراتُ القدس ١٩٢٠م، ويافا ١٩٢١م، والبراق ١٩٢٩م، وأكتوبر ١٩٣٣م، و«حركة الجهادية» بقيادة القسّام (محمد عزّالدين القسّام ١٣٠٠-١٣٥٤هـ = ١٨٨٢-١٩٣٥م) و«عصابة الكف الأخضر» ومنظمة «الجهاد المقدس». وتحت ضغط الثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ اضْطُرَّتْ بريطانيا في كتابها الأبيض (مايو ١٩٣٩م) أن تَتَعَهَّدَ بقيام الدولة الفلسطينيّة خلالَ عَشْر سنوات وأن تُوقِفَ بيعَ الأرض لليهود، وأن تُوقِفَ الهجرةَ اليهودية بعد خمس سنوات؛ ولكنّها تَنَكَّرَتْ لالتزاماتها في آخر ١٩٤٥م، وعادت الحياةُ للمشروع الصهيونيّ من جديد برعاية أمريكية .

في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م أصدرت الجمعيةُ العامّةُ للأمم المُتَّحِدَة قرار رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية (نحو ٥٤٪ للدولة اليهودية، و٤٥٪ للدولة العربية، و١٪ منطقة دولية «منطقة القدس»). وقرارات الجمعيّة العامة ليست قراراتٍ مُلزِمَة حتى ضمنَ مواثيق الأمم المتحدة نفسها، والقرارُ نفسُه مخالفٌ للأساس الذي قامت عليه الأممُ المتحدةُ، وهو حقُّ الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها، ثم ان الشعب الفلسطيني المعنيَّ أساسًا بالأمر لم تُتِمَّ استشارتُه ولا استفتاؤُه. فضلاً عن

---

(٧) منظّمات وحركات صهيونية

الظلم الفادح في إعطاء الأقلية اليهودية الدخيلة المُهَاجِرة الجزءَ الأكبرَ والأفضلَ من الأرض.(٨)

إعلان قيام الدولة الغاصبة:

أعلن الصَّهَاينَة دولتَهم «إسرائيل» في مساء ١٤ مايو ١٩٤٨م، وتَمَكَّنُوا من هزيمة الجيَوش العربية التي مَثَّلتْ نموذجًا لسوء القيادة وضعف التنسيق وقلة الخِبْرَة، ووقوع عددٍ منها تحت النفوذ الاستعماري، واستَوْلَى الصهاينة على نحو ٧٧٪ من أرض فلسطين، وشَرَّدُوا بالقوة ٨٠٠ ألف فلسطيني خارجَ المنطقة التي أقاموا عليها كيانَهم من أصل ٩٢٥ ألفًا كانوا يسكنون فى هذه المنطقة، ودَمَّرُوا ٤٧٨ قرية فلسطينيّة من أصل ٥٨٥ قرية كانت قائمة في المنطقة المُحْتَلَّة، وارتكبوا ٣٤ مجزرةً. أما بالنسبة لما تَبَقَّىٰ من فِلَسْطِينَ فقد قامت الأردنُ بضمّ الضَفَّة الغربية رسميًا إليها (٥٨٧٨كم٢) كما وَضَعَتْ مصرُ قِطاعَ غَزَّةَ (٣٦٣كم٢) تحت إدارتها، وقد وافقتْ الأممُ المتحدةُ على دخول الكيان الصهيونيّ «إسرائيل» في عضويّة «الأمم المتحدة» بشرط السَّماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم، وهو ما لم يَفْعَله الكيانُ الصهيونيُّ مُطلَقًا. (٩)

تهويد فلسطين وقضيَّة اللاجئين :

وَاصَلَ الكيانُ الصهيونيُّ تهويدَ أرض فلسطينَ بشكل حثيث، وسَعَىٰ لاجتثاث هُويَّتها الإسلامية ومَعَالِمها الحضاريّة، فقد صَادَرَ حَوَالِيْ ٩٧٪ من الأرض التي احتلّها سنة ١٩٤٨م بما في ذلك أراضي وأملاك الفلسطينيين الذين قام بتشريدهم، ومُعْظَم الأوقاف الإسلامية، والكثير من أراضي من بقِيَ من العرب هناك. وبَنَى الصَهَاينَة ٧٥٦ مدينة وقرية استيطانية في الأرض المُحْتَلَّة عام ١٩٤٨م. وبعد حرب ١٩٦٧م صَادَرَ الصهاينة أكثرَ من ٦٠٪ من مساحة الضَفَّة الغربيّة وبَنَىٰ فوقها ١٩٢ مُسْتَعْمَرَةً، كما صَادَرَ ٣٠٪ من مساحة قِطَاع غَزَّة وبَنَى فوقه ١٤ مُسْتَوْطَنَة، وبينما حَرَمَ الكيانُ الصهيونيُّ أبناءَ فلسطين من العودة إلى أرضهم، فتَحَ أبوابَ الهجرة اليهوديّة إلى فلسطينَ؛ فَهَاجَرَ إليها أكثرُ من مليونين و ٨٠٠ ألف يهوديّ خلالَ الفترة ١٩٤٩-٢٠٠٠م، ليبلغ العددُ الكليُّ لليهود حَوَالِيْ خمسةِ ملايينَ .

رَكَّزَ الصهاينة على تهويد مدينةِ القدس، فسَيْطَرُوا على ٨٦٪ منها. ومَلَؤُوْهَا بالمُهاجرين اليهودِ (٤٥٠ ألف يهودي مقابل ٢٠٠ ألف فلسطيني حسب إحصائيات سنة ٢٠٠٠م)، وفي منطقة القدس الشرقية – حيث المسجد الأقصى – أسكنوا نحو ٢٠٠ ألف يهوديّ بعد أن أحاطوها بسِوَار من

---

(٨) فلسطين في. . ص ٥٨.
(٩) فلسطين في... ص ٥٩.

المُستَوْطنَات اليهوديّة يعزلها عن مُحيطِها العربيّ الإسلاميّ، وأعلنُوا أنّ القدسَ عَاصِمَةٌ أبَدِيّةٌ للكيان الصهيونيّ، واهْتَمَّ اليهودُ الصَّهَاينَةُ بالسَيْطرَة على المسجد الأقصى. فصَادَرُوا الحائطَ الغربيَّ للمسجد الأقصى «حائط البراق»، ودَمَّرُوا حيَّ المغَاربَة المُجَاور له، وصَادَرُوا أرضَه، وأنْهَوْا حتى الآن عَشْرَ مَرَاحِلَ من الحَفْريَّاتِ تحت المسجد الأقصى، وحَفَرُوا أربعة أنْفاق بشكل يُهَدِّدُ بانهيار المسجدِ في أيّ لحظة، وتَشَكَّلَ نحوُ ٢٥ تنظيم إرهابيّ يهوديّ يهدف إلى تدمير الأقصى وإقامة الهيكل اليهودي مكانَه، وقاموا خلال ١٩٦٧-١٩٩٨م بأكثر من ١١٢ عمل عدائي ضد المسجد الأقصى ، ١٢ منها بعدَ اتفاق أوسلو ١٩٩٣م، وكان أشهرُ الاعتداءات حرقَ المسجد الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م.

تَمَسَّكَ اللاجئون الفلسطينيون بحقهم في العودة إلى أرضهم، ورَفَضُوا كلَّ مشاريع توطينهم خارجَ أرضِهم والتي وَصَلَتْ إلى ٢٤٣ مشروعًا، ورغمَ أن «الأمم المتحدة» أصْدَرَتْ أكثرَ من ١١٠ قرارات بحق اللاجئين في العودة، إلا أن أيًا منها لم يُنَفَّذْ بسبب إصرار الكيان الصهيونيّ على رَفضِها، وعدمِ جِدّيّة الدول الكبرى والمُجْتَمَع الدُّوَليّ في إجباره على ذلك، ويبلغ عددُ اللاجئين الفلسطينيين المُهَجَّرين من الأرض المُحْتَلَّة منذ سنة ١٩٤٨م وحتى وقتنا هذا أكثرَ من خمسة ملايين، بالإضافة إلى ما يَقْرُب من نحو مليون فلسطيني من أبناء الضفّة والقِطاع محرومون حقَّ العودة إلى أرضهم، وتُمَثِّل قضيّةُ اللاجئين الفلسطينيين أقدمَ وأطولَ وأكبرَ مَأسَاة إنسانيّة للاجئين في القرن العشرين.

تَعَامَلَتِ «الأممُ المتحدةُ» مع قضيّة فِلسْطِين كقضيّةِ لاجئين منذ ١٩٤٩م وحتى بداية السبعيّنيات من القرن العشرين، ومنذ ١٩٧٤م أخَذَتْ تُصْدِر قراراتٍ كثيرةً بأغلبية ساحقة عن الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة بإعطاء الفلسطينيين حقَّ تقرير المصير، وبشرعيّةِ الكفاح الفلسطيني (بما فيه الكفاح المسلح) لاسترداد الحقوق المُغْتَصَبَة، وباعتبار الصهيونيّة شكلاً من أشكال التفرقة العنصريّة، وبحقّ اللاجئين غير القابل للتصرّف في العودة إلى أرضهم؛ لكن الولاياتِ المتحدةَ وحلفاءَها كانوا على استعداد دائم لدعم الكيان الصهيونيّ في رفض هذه القرارات وتجاهلها وإجهاضها، واستخدام حقّ النقض «الفيتو» (١٠) لمنع التنفيذ العمليّ لأي منها. في الوقت الذي استخدموا فيه هذه «الشرعية» الدوليّة لإقامة الدولة الصهيونيّة على أرض فلسطين وترسيخ وجودها، مما يَكْشِفُ عن الوجه القبيح الظالم لهذه «الشرعيّة».

مَثَّلَتِ الفترةُ ١٩٦٧-١٩٧٠م الفترةَ الذهبيّة للعمل الفِدَائيّ والمُقاوَمَة الفلسطينيّة؛ غيرَ أنها حُرِمَتْ منذ ١٩٧١م استخدامَ الساحةِ الأردنيّةِ، ورغم تَرَكُّزها بعد ذلك في الساحة اللُبنانيّة إلا أنها عَانَتْ محاولاتِ الاستهداف والاجتثاث خلالَ الحرب الأهليّة اللُبْنَانيّة ١٩٧٥-١٩٩٠م، وأسْهَمَ العدوانُ

---

(١٠) حَقُّ النقض (الفيتو) (Right of) veto حقُّ إبطال القرار، وهو ممنوح في الأمم المتحدة للدول الخمس الكبرى: بريطانيا، أمريكا، روسيا، الصين، فرنسا.

الصهيونيّ المُستَمِرّ على لبنان، واجتياحُه الجنوبَ اللبنانيَّ سنة ١٩٧٨م وتشكيله لجِزَامٍ أمْنِيّ عميل، ثم اجتياحُه الجنوبَ سنة ١٩٨٢م في ضرب البنيَة التحتيّة للمقاومة وإجبار (م. ت. ف) ومُقاتِلِيها على الانسحاب من لبنانَ. وبذلك أُغلِقتْ كلُّ الحدود العربيّة مع الكيان الصهيونيّ في وجه المُقاوَمَة الفلسطينيّة.

وبشكل عامّ، عَانَتِ الثورةُ الفلسطينية بشدّة من أشقائها العرب «الألدّاء» واستُنْزِفتْ طاقاتُها ودماؤها في صِرَاعِها مع الأنْظمة العربيّة التي حَاوَلتْ ترويضَها وضبطَها والتحدُّثَ باسمها والقفزَ فوقَها ، وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م ضدَّ الكيان الصهيونيّ التي حَقّقتْ أساسًا انتصاراتٍ معنويّة لمصر وسوريا، واعتبار «منظمة التحرير الفلسطينية» مُمَثّلاً شرعيًّا وحيدًا للشعب الفلسطيني ١٩٧٤م، أخَذ يَتَضَاءَلُ الشعورُ العربيُّ بالمسؤوليّة تجاهَ فِلسْطِينَ، وبتوقيع مصر لاتفاقيّات «كامب ديفيد» ([11]) في سبتمبر ١٩٧٨م خَرَجَتْ أقوى قوّة عربيّة من الصراع العربيّ – الصهيونيّ، ثم إن الحربَ العراقيّة – الإيرانيّة ١٩٨٠-١٩٨٨م، وتَرَاجُعَ الدعم الماليّ الخليجيّ للثورة الفلسطينية بسبب انخفاض أسعار النفط، فضلاً عن الاجتياح العراقيّ للكويت ١٩٩٠م، وما نَتَجَ عنه من حرب الخليج وتَمَزُّق عربيّ إسلاميّ واسع، بالإضافة إلى انهيار الاتّحاد السوفيتي والكُتلة الشرقية، كلُّ ذلك أدّى لإضعاف المقاومة الفلسطينية وتَوَجُّهِ قيادةِ (م.ت.ف) نحوَ التسوية السلميّة، وبالتالي حصر نشاطِها في دائرة «الممكن السياسي»، خصوصًا مع وجود استعداد ذاتيّ لدى قيادة «منظمة التحرير الفلسطينية» للتنازل عن بعض الثّوَابت مُقابلَ الاستمرار في القيادة وفي تمثيل الفلسطينيين. ([12])

جرائم صهيونية ضد القدس والمسجد الأقصى:

عَمِلَ اليهودُ على خَلْخَلة البنية السكانية للمدينة منذ منتصف القرن الميلادي الماضي؛ حيث نشطت سكانها من اليهود. وأما في القرن الحالي فوصلت الهجرة اليهودية إلى أوجها. وذلك أثناء الانتداب البريطاني، وحين انتهت الحرب العربية – اليهودية عام ١٣٦٨ – ١٩٤٨م استولى اليهود على ٦٦،٢٪ من المساحة الكلية للقدس .

وأما البلدة القديمة فظلت بأيدي المسلمين. وأعقب ذلك حربُ ١٩٦٧م فاستولى اليهودُ على ما تَبَقّى من القدس ووَسّعُوا مساحتَها على حساب باقي مدن الضفة الغربية الأخرى؛ حيث جعلوها من ١٣كم إلى ١٠٨كم مُرَبّع. وذلك ضمن مشروع القدس الكبرى. وفي عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م أقرَّ الكنيست اليهوديّ

([11]) كامب ديفيد: مدينة بأمريكا تَمّ فيها التوقيعُ على الاتفاقية بين إسرائيل ومصر ١٩٧٨م.
([12]) فلسطين في...ص: ٦٥

قرارَ ضمّ القدس، أما في عام ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م فقد أقِرَّ القانونُ المُسَمَّىٰ بالقانون الأساسيّ للقدس وتَمَّ إعلانُها عاصمة لدولتهم .

مراحل التهويد – تهويد المرافق العامة:

عَقِبَ الاحتلال عام ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م حُلَّ مجلسُ أمانة القدس العربيّ ونُقِلَتْ محكمةُ الاستئناف العربية إلى مدينة «رام الله» وطبق القانون اليهودي على مواطني القدس المسلمين، ورُبطتْ شبكتا المياه والهاتف بدولتهم كما نُقِلَتِ الوزارات والدوائر اليهوديّة إلى المدينة كما تَمَّ تهويدُ مَنَاهِج التعليم في المدارس العربية. وذلك بتطبيق مَنَاهِج التعليم اليهوديّ وعُزلت المدينةُ اقتصاديًّا وجُمْرُكِيًّا عن بقية المدن الفلسطينية الأخرى .

وفي نفس عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م قام اليهود بالاستيلاء على حي «المغاربة» وقسم كبير من حيّ «الشرف» في البلدة القديمة، وأسفر ذلك عن مُصَادَرَة ١١٦ دونمًا من أراضي الوقف الإسلاميّ تَضُمّ ٥٩٥ عقارًا وقفيًّا إسلاميًّا منها مسجدان، ويشكل ذلك ١٠٪ من مساحة البلدة القديمة .

وفي عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ظهرتْ تفاصيلُ مشروع «القدس الكبرى» وفي إطاره تَمَّ تنفيذ حَوَالِيْ ١٥ مُسْتَعْمَرَةً وهي الحِزَام الاستيطانيّ الثاني حولَ القدس.

وفي عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م نُشِرَتْ تفاصيلُ أحد أهمّ مشاريع اليهود التي تُخَطّط لمستقبل القدس السياسيّ، وهو مشروع الدكتور (رافل بنكار) ويتضمن النقاط التالية:

(١) إبقاء القدس مُوَحَّدَةً تحت السيادة اليهوديّة .

(٢) توسيع حدود القدس وتقسيمُها إلى ١٨ حيًّا لكل منها مجلس بلديّ فرعيّ وتتبع جميعُها لمجلس بلديّ مركزيّ مكون من ٥٥ عضوًا بينهم ٣٨ عضوًا من اليهود.

(٣) إعطاء الأحياء اليهودية نوعًا من الحكم الذاتي .

(٤) ضمان حرية العبادة في الأماكن المقدسة لجميع الأديان .

(٥) تحديدُ نسبة السكان العرب بحيث لا تزيد على ٢٥٪ من السكان.

(٦) أن يشمل التوسُّعُ المناطقَ العربية الممتدةَ شمالاً حتى مدينتي «رام الله» و «البيرة»، وشرقًا حتى «أبوديس» و «العيزرية» وغربًا حتى اللطرون وجنوبًا حتى «بيت لحم».

وفي عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م تمّت الموافقة على توسيع خريطة القدس ويشمل هذا التوسُّعُ (٩) مدن و (٦٠) قرية عربيّة، أي ما يقارب ٣٠٪ من مجموعة مساحة الضفة الغربية. وقد أقيم في هذا

النطاق ١٥ مُستَعْمَرَةً أخرى تُشَكِّل الحِزَامَ الاستيطانيَّ الثالثَ حولَ مدينة القدس .

وحتى عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م إلى العام ١٤١٨هـ أقامت السلطاتُ اليهوديةُ (٩) أحياء يهودية في حدود أمانة القدس وعلى مشارف البلدة القديمة وهي: (حي «رامات إسكول» و «معلوت دفنا» و«سانهدريا» و«جبعات همفتار» وحي «النبي يعقوب» وحي «التلة الفرنسية» وحي «الجامعة العبرية» وحي «تل بيوت» وحي «عتاروت»).

وتنص الخُطط الاستيطانيّة الخاصّة بمشروع «القدس الكبرى» على جعل سكان القدس عام ٢٠٠٠م قرابة المليون نسمة، يُشَكِّلُ اليهودُ منهم ٧٥٪، أي أن لا يزيد عددُ العرب المسموح لهم بالعيش في نطاق هذا المشروع على ٢٥٠ ألف نسمة، وهذا يعني أن الخُطط تشملُ تهجيرَ ١٨٠ ألف من السكان العرب. هذا إذا وُضِعَ في الحسبان التكاثرُ المتزايدُ للعرب.([١٣])

ترسيم حدود المدينة:

من خلال النظر إلى خريطة فلسطين يتضح أهميةُ الموقع الجغرافيّ للقدس، لكونه نقطة مركزية في وسط فلسطين، إلى جانب أهميّتها السياسيّة والحضاريّة والدينيّة، فبدأت أولى نِقاط الارتكاز العمرانيّ داخلَ أسوار المدينة؛ حيث كانت المدنُ قديمًا تُحَاطُ بأسوار لكي يَسْهُل المحافظةُ عليها ويَسْهُل الدفاعُ عنها. وفي أواخر القرن التاسِعَ عَشَرَ وأوائل القرن العشرين، لم تَعُد مساحتُها تستوعب الزيادةَ السكانية، فبدأ الامتدادُ العمرانيُّ خارجَ السور، وفي جميع الجهات ظَهَرَتِ الأحياءُ الجديدةُ التي عُرِفَتْ فيما بعد بالقدس الجديدة، إضافة إلى الضواحي المرتبطة بالمدينة التي كانت ومازالت قُرىً تابعة لها، وقد اتّخذ الامتدادُ العمرانيُّ اتجاهين: أحدُهما شماليٌّ غربيٌّ، والآخر جنوبيٌّ .

ونتيجة لنشوء الضواحي الاستيطانية في المنطقة العربية، فقد جَرَى العملُ على رسم الحدود البلدية بطريقة ترتبط بالوجود اليهودي؛ إذ امتدّ الخطُّ من الجهة الغربيّة عدةَ كليومترات. بينما اقتصر الامتدادُ من الجهتين الجنوبية والشرقية على بضع مئات من الأمتار، فتَوَقَّفَ خطُّ الحدود أمامَ مداخل القرى العربيّة المُجَاوِرَة للمدينة، ثم جَرَى ترسيمُ الحدود البلدية في عام ١٩٢١م.

حدود عام ١٩٤٦-١٩٤٨م

أما المُخَطَّط الثاني لحدود البلدية فقد وُضِعَ عام ١٩٤٦م، وجَرَى بموجبه توسيعُ القسم الغربي، وفي الجزء الشَرقيّ أضيفت قرية «سلوان» من الناحية الجنوبية و«وادي الجوز» وبلغت مساحة المخطط ٢٠،١٩٩ دونمًا، كان توزيعها على النحو التالي:

([١٣]) الأستاذ عبد الله الطلحة: " القدس تنادينا.. هل نسيناها؟" الرياض اليومية، العدد(١١٧٠١) نقلا عن فلسطين في... ص:١١٧.

أملاك عربية ٤٠٪ .

أملاك يهودية ٢٦،١٢٪.

أملاك مسيحية ١٣،٨٦٪.

أملاك حكومية وبلدية ٢،٩٪.

طرق سكك حديدية ١٧،١٢٪.

المجموع ١٠٠٪.

وتوسّعت المساحة المبنية من ٤١٣٠ دونمًا عام ١٩١٨م إلى ٧٢٣٠ دونمًا عام ١٩٤٨م، وبين عامي (١٩٤٧م و ١٩٤٩م) جاءت فكرةُ التقسيم والتدويل، فقد طرَحَتْها اللجنة الملكية بخصوص فلسطين (لجنة بيل)، حيثُ اقترحت إبقاءَ القدس و«بيتَ لحم» إضافة إلى «اللد» و«الرملة» و«يافا» خارجَ حدود الدولتين (العربية واليهودية) مع وجود مَعَابرَ حرّة وآمنة. وجاء قرارُ التقسيم ليُوْصِيَ مرة أخرى بتدويل القدس. وقد نَصَّ القرارُ على أن تكون القدسُ (منطقة منفصلة) تقع بين الدولتين (العربية واليهودية) وتخضع لنظام دوليّ خاص، وتُدَار من قبل «الأمم المتحدة» بواسطة مجلس وصاية يُقَامُ لهذا الخصوص. وَحَدَّدَ القرارُ حدودَ القدس الخاضعة للتدويل بحيث شَمِلت (عين كارم وموتا في الغرب وشعفاط في الشمال، وأبوديس في الشرق، وبيت لحم في الجنوب)، لكنّ حربَ عام ١٩٤٨م وتَصَاعُدَ المعاركُ الحربية التي أعْقَبَتِ التقسيمَ أدت إلى تقسيم المدينة إلى قسمين .

وفي ١٩٤٨/١١/٣٠م وَقَّعَتِ السلطاتُ الإسرائيلةُ والأردنيّة على اتفاق وقف إطلاق النار، بعد أن تَمَّ تحديدُ خَطّ تقسيم القدس بين القسمين الشرقيّ والغربيّ للمدينة في ١٩٤٨/٧/٢٢م، وهكذا ومع نهاية عام ١٩٤٨م كانت القدسُ قد قُسِّمَتْ إلى قسمين وَتَوَزَّعَتْ حدودُها نتيجة لخطّ وقف إطلاق النار إلى:

مناطق فلسطينية تحت السيطرة الأردنية ٢،٢٢٠ دونمًا (١١،٤٨٪).

مناطق فلسطينية محتلة (الغربية) ١٦،٢٦١ دونمًا (٨٤،١٣٪).

مناطق حرام ومناطق للأمم المتحدة ٨٥٠ دونمًا (٤،٤٠٪).

المجموع: ١٩،٣٣١ دونمًا (١٠٠٪).

وهكذا، وبعد اتفاق الهدنة تأكّدتْ حقيقةُ اقتسام القدس بينهما انسجامًا مع موقفها السياسي المُعَارض

لتدويل المدينة .([١٤])

القدس والأقصى بين المفاهيم والمصطلحات

هناك اصطلاحات ومفاهيم تتعلق بالمدينة المباركة وتلتبس على الكثير من أبناء الأمة الإسلامية، كان لابد أن نوضحها للقارئ العربي والإسلامي :

خلالَ الفترة العثمانية وقبلَ الاحتلال البريطانيّ لفلسطين (سنة ١٩١٧م) لم تكن هناك سوى قدس واحدة، هي تلك التي تحيط بها أسوارُ سليمان القانوني التي بناها السلطان الكبير في منتصف القرن العاشر الهجري، إضافة إلى مجموعة من الأحياء أقامها العثمانيون خارجَ سور القدس في الشمال والشرق والجنوب، مثل حيّ الشيخ جراح في الشرق، وحي المسعودية في الشمال.

وفي أثناء الاحتلال البريطانيّ تَلاعَبَ المندوبون الساميّون بالحدود البلدية للمدينة المباركة، فركّز رسمُهم لحدود بلدية القدس على التوسّع جهة الغرب عدة كيلومترات، حيثُ الكثافةُ السكانيّةُ لليهود أعلى. أما في الجنوب والشرق حيث السكان عربٌ فلم يتجاوز الامتدادُ بضعَ مئات من الأمتار، فمُنِعَتْ قرى عربية كبيرةٌ من الدخول ضمنَ الحدود البلدية للقدس، وهي قرى الدور، ودير ياسين، وسلوان، والعيسوية، والمالحة، وبيت صفافا، وشعفاط، ولفتا، وعين كارم.

هنا ظهرت القدسُ كمُدُنٍ عدة لا كمدينة مسلمة واحدة كما هو المعتاد:

«القدس القديمة» أو العَتيقة هي تلك الموجودة داخلَ سور سليمان القانوني، ومساحتها ٨،٧١ دونم (الدونم = ١٠٠٠م٢)، وطولُ السور ٤،٢٠كم٢، وتقوم على أربعة جبال هي: جبل الموريا، وجبل صهيون، وجبل أكرا، وجبل بزيتا. ويوجد الحرمُ القدسي الشريف في الجنوب الشرقيّ للقدس القديمة فوق جبلَ الموريا.

و«القدس الشرقية» هي نفسُها القدسُ القديمة مضافًا إليها الأحياءُ التي زادها المسلمون خارجَ السور، مثلُ حيّ الشيخ جراح، وحي باب الساهرة، وحي وادي الجوز. وقد ظهر هذا المصطلحُ مع احتدام الصراع بين المسلمين واليهود في فلسطين قبل قيام الكيان الصهيونيّ، فقد تُرَكّزَ العربُ في شرق المدينة بأغلبية كبيرة، في حين تَرَكّز اليهودُ بأغلبية ساحقة في غربها، فسُمّي القسمُ الشرقيُّ بـ«القدس الشرقية»، وأطلق على الجانب الغربي اسمُ «القدس الغربية».

و«القدسُ الغربية» هي القدسُ الجديدةُ التي نَشَأَتْ في ظلّ الانتداب البريطاني على فلسطين، لتستوعب الهجراتِ اليهودية المتتالية. وقد اتّسعت اتساعًا كبيرًا، وضمّها البريطانيون إلى الحدود البلدية للقدس عام ١٩٤٦م، فصارت مساحةُ القدس كلها ١٩٠٠٠كم٢، أي أكثر من عشرين ضعفًا من القدس

([١٤]) فلسطين في... ص:١٢.

العتيقة.

و«القدسُ الموحدةُ» مصطلحٌ يستعمله اليهودُ دلالة على القدسين معًا (الشرقية والغربية)، لأن المدينة انقسمتْ عَقِبَ حرب سنة ١٩٤٨م، فسَيْطر الصهاينةُ على الجانب الغربيّ منها، واحتفظ الجيشُ الأردنيُّ بقيادة عبد الله التل بالجانب الشرقيّ، وحين سَيْطرَ اليهودُ على القدس كلها يوم ٧ يونيو سنة ١٩٦٧م وحّدوا المدينة وأصرُّوا على فكرة «القدسُ الموحدةُ عاصمة أبدية لإسرائيل»!!.

«القدسُ الكبرى» هي القدسُ الموسَّعة التي يحاول الصهاينةُ بها صنعَ هُويَّةٍ للمدينة تنمحي معها هويتُها الإسلامية، فتبدو الأغلبية السكانية اليهودية كاسحة، وتصبح مساحةُ الأرض التي يسيطر عليها العربُ صغيرةً جدًا بالنسبة لما يسيطر عليه اليهود .

ويستهدفُ مشروعُ «القدس الكبرى» تطويقَ الأحياء العربية في المدينة القديمة، وفصلها عن الأحياء العربية القائمة خارجَ السور؛ لإجبار العرب على معيشة صعبة تذوب هويتُهم معها، أو يُضْطرُّون إلى الهجرة من بيوتهم وأوطانهم .

إضافة إلى السور الذي يحيط بالقدس العتيقة، هناك سورٌ تاريخيٌّ آخر في المدينة هو سورُ الحرم القدسيّ الواقع فوقَ جبل الموريا في الجنوب الشرقي للقدس العتيقة، ويبلغ طولُ الضلع الغربي للسور ٤٩٠م، والشرقي ٤٧٤م، والشمالي ٣٢١م، والجنوبي ٢٨٣م. ويضمّ الحرمُ داخلَ أسواره لا بناءً واحدًا، بل عددًا كبيرًا من الأبنية الإسلامية، أشهرُها قبة الصخرة.

والمصطلح التاريخي «المسجد الأقصى» إذا أُطلق مقصودًا به العموم (كما كان يفعل أسلافنا قبل القرون المتأخرة)، فهو كل هذا الحرم القدسي الواقع داخلَ السور. وحسب هذا المفهوم فإن مسجد قبة الصخرة جزء من المسجد الأقصى، ومسجد عمر الذي بناه أمير المؤمنين عند فتح المدينة وجدّده عبد الملك بن مروان فيما بعد هو أيضًا جزء من المسجد الأقصى .([١٥])

جولة ميدانية عبر خريطة المسجد الأقصى

- **المسجد الأقصى:**

المسجد الأقصى المبارك هو اسم لكل ما دار حوله السورُ الواقعُ في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس القديمة المسورة بدورها، ويشمل كلاً من قبة الصخرة المشرفة، (ذات القبة الذهبية) والموجودة في موقع القلب بالنسبة للمسجد الأقصى، والمصلى القبْلي، (ذي القبة الرصاصية السوداء)، والواقع أقصى جنوب المسجد الأقصى، نَاحية القبلة)، فضلا عن نحو ٢٠٠ معلم آخر، ما بين

([١٥]) المصدر السابق، ص:١٢٣.

مساجد، ومبان، وقباب، وأسبلة مياه، ومصاطب، وأروقة، ومدارس، وأشجار، ومحاريب، ومنابر، ومآذن، وأبواب، وآبار، ومكتبات.

- **وضعه الحالي:**

رغمَ أن الشؤونَ الإدارية والمالية للمسجد الأقصى المبارك تُدَارُ من قبل دائرة الأوقاف الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية، إلا أنه مُحَاصَرٌ، ومَدَاخِله واقعةٌ تحت سيطرة الاحتلال الصهيونيّ الذي بدأ للقدس القديمة منذ عام ١٩٦٧م. وتُدعِّم حكومةُ الاحتلال، ولو بصورة غير مُعْلَنَة، المَزَاعِمَ الصهيونية بأن الأقصى قائمٌ فوقَ أنقاض ما يُعْرَف بالهيكل، وأنه لا معنى لدولة الاحتلال بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون «الهيكل» (بن جوريون أول رئيس وزراء لدولة الاحتلال الصهيوني).

فالمسجد الأقصى في خطر .. حيث اقتُطِعَ جزءٌ من حيطانه هو حائطُ البراق، وسُمِّيَ زورًا بحائط المبكى، ومُنِعَ المسلمون من الاقتراب منه، كما تَعَرَّضَ المسجدُ الأقصى لمحاولات عدّة لإحراقه، وتفجيره، وتخريبه، فضلاً عن الحفريّات والأنفاق التي تُشَقُّ تحتَ أساساته، ما أدّى إلى تَصَدُّع أجزاء منه، وكذلك، يتم تقييد حرية المسلمين في الوصول إلى الأقصى للصلاة فيه، وإعماره، أو ترميمه، فيما يتعرّض لعمليات اقتحام متكررة من جانب جنود الاحتلال، والمتطرفين الصهاينة.

طول الحرم المقدسي:

من الجهة الغربية (٤٩٠) مترًا.

من الجهة الشرقية (٤٧٤) مترًا .

من الجهة الشمالية (٣٢١) مترًا.

من الجهة الجنوبية (٢٨٣) مترًا.

محيطه كالتالي:

الحائط الشمالي (١٠٤٢) قدمًا.

الحائط الشرقي (١٥٣٠) قدمًا.

الحائط الجنوبي (٩٢٢) قدمًا .

الحائط الغربي (١٦٠١) قدم.

الصخرة المشرفة :

الطول (١٧،٧٠) مترًا.

العرض (١٣،٥٠) مترًا.

الارتفاع (١،٢٥) مترًا.

قبة الصخرة :

مثمّنة الشكل طول الجانب (٦٧) قدمًا

ارتفاع القبة (١٧٠) قدمًا.

مبنية على (٤) دعائم و (١٢) عامودًا ولها (٤) أبواب .

المسجد (الجامع) الأقصى:

الطول (٨٠) مترًا.

العرض (٥٥) مترًا.

الأبواب (١٠)، وقبة من الخشب المغطى بالرصاص.

قِبَاب المسجد الأقصى:

١. قبة السلسلة: بنيت في عهد عبد الملك بن مروان، وتقع شرقي قبة الصخرة.
٢. قبة المعراج: بنيت عام (٥٩٧هـ : ١٢٠٠م)
٣. قبة محراب النبي: بنيت عام (٩٤٥هـ: ١٥٣٨م)
٤. قبة يوسف : بنيت عام (٥٨٧هـ: ١١٩١م)
٥. قبة الشيخ خليلي: حديثة بنيت في القرن التاسع عشر.
٦. قبة موسى: بنيت عام (٦٤٩هـ : ١٢٥١م).
٧. القبة النحوية: بنيت عام (٦٤٠هـ : ١٢٠٧م).
٨. قبة الخضر.
٩. قبة سليمان.

مآذن المسجد الأقصى:

١. مئذنة باب المغاربة : أو المئذنة الفخرية، بُنِيَتْ عام (٦٧٧هـ: ١٢٧٨م) ورُمِّمَتْ عام (١٣٤١هـ: ١٩٢٢م).
٢. مئذنة باب السلسلة : بنيت عام (٧٣٠هـ ١٣٢٩م).
٣. مئذنة باب الغوانمة : بنيت عام (٦٩٧هـ ، ١٢٩٧م)
٤. مئذنة باب الأسباط : بنيت عام (٨٦٩هـ: ١٣٦٧م) ورُمِّمت عام (١٣٥٦هـ :١٩٣٧م).

أرْوقَة المسجد الأقصى :

١. الرُّواق المُمْتَدّ من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء (باب فيصل) يقع في المنطقة الوسطى لسور الحرم الشماليّ.
٢. الرُّواق المُحَاذِي لشرف الأنبياء .
٣. الرُّواقان السّفليان اللذان تحت دار النيابة شمالَ الحرم من الغرب، ورُواقان فوقهما مُستَجِدَّان.
٤. الأرْوقة الغربيّة وتَمْتَدّ من باب الغَوَانِمَة إلى باب المغاربة/ المنطقة الغربيّة للحرم.
٥. الرُّواق المُمْتَدّ من باب الغَوَانِمَة الناظر/ الجزء الغربيّ من الركن الشماليّ الغربيّ للحرم .
٦. الرُّواق المُمْتَدّ من باب الناظر إلى باب القطانين/ امتداد الرُّواق السابق جنوبًا.
٧. الرُّواق المُمْتَدّ من باب القطانين إلى باب السلسلة/ امتداد الرُّواق السابق جنوبًا.
٨. الرُّواق المُمْتَدّ من باب السلسلة إلى باب المغاربة/ امتداد الرُّواق السابق جنوبًا.

سُبُل الحرم:

١. سبيل قايتباي: أُنْشِئَ عامَ (٨٦١هـ) وجَدَّدَه قايتباي عام ٨٧٠هـ : ١٤٤٥م، وأُعيد ترميمُه في عهد عبد الحميد الثاني عام ١٨٤٢م.
٢. سبيلُ شعلان: أنشأه الملكُ عيسى وجَدَّدَه الملك بَرْسَبَاي عامَ (٨٣٢هـ)، كما جَدَّدَ عمارتَه السلطانُ مراد الرابعُ العثمانيّ عامَ (١٦٣٧م) بعد أن بقي خرابًا حَوَاليْ القرْنَيْن.
٣. سبيلُ باب الحبس: سبيلُ علاء الدين البُصَيْري.
٤. سبيلُ البديري: طوله مِتْرَان وعرضُه وارتفاعُه أربعة أمتار، والمُعْتَقَدُ أنه تَمَّ في زمن السلطان محمد الأول العثمانيّ عام (١١٥٣هـ) ، وتسميتُه أتتْ من مُنْشِئِيه آل البُدَيْري.
٥. سبيلُ قاسم باشا: دُعِيَ بذلك نسبة إلى قاسم باشا مُتَوَلّي القدس في عهد السلطان سليمان القانونيّ.
٦. سبيلُ السلطان السليمان .

آبارُ الحرم:

١. بئرُ الشيخ الخليلي.
٢. بئرُ الأمانة.
٣. بئرُ أبي السعود.

٤. بئرُ باب الجنة.

٥. بئرُ العصافير.

٦. بئرُ الخلود.

٧. البئرُ الأسود.

أبواب الحرم المقدسي:

١. بابُ الأسباط.

٢. بابُ حِطّة.

٣. بابُ شرف الأنبياء/ أو باب العتم أو باب فيصل.

٤. بابُ الغوانمة/ باب الخليل أو باب الوليد.

٥. بابُ الناظر/ باب علاء الدين أو باب الحبس أو باب المجلس.

٦. بابُ الحديد.

٧. بابُ القطانين.

٨. بابُ المتوضأ.

٩. بابُ السلسلة.

١٠. بابُ المغاربة/ باب النبي أو باب البراق.

١١. بابُ السكينة/ مغلق.

١٢. بابُ الرحمة/ مغلق.

١٣. بابُ التوبة/ مغلق.

١٤. بابُ البراق/ مغلق.

العقارات المقدسيّة الموقوفة على الحرم:

١. دارُ الأيتام الإسلامية.

٢. تكيّة خاصكي سلطان.

٣. خان السلطان.

٤. دارُ المحكمة الشرعية عند باب السلسلة.

٥. دارُ الشيخ الحنبلي.

٦. كلية روضة المعارف

٧. المدرسة البكرية.

٨. حمّام الشفا.

٩. دكاكين على مقربة منه في سوق القطانين.

١٠. دارُ حبس الرباط.

١١. دارُ حبس الدم

مساجد الحرم الشريف

رقم	مساجد الحرم الشريف	المكان	ملاحظات
١	جامعُ قُبَّة موسى	داخل الحرم أمام باب السلسلة	تُقامُ فيه الصلواتُ الخمسُ
٢	جامعُ باب حِطّة	داخل الحرم عند باب حِطّة	تُقامُ فيه الصلواتُ الخمسُ
٣	جامعُ كرسيّ سليمان	داخلَ الحرم في الجهة الشرقيّة	تُقامُ فيه الصلوات الخمسُ
٤	جامعُ المَغَاربة	داخلَ الحرم عند باب المَغَاربَة	مقر المَتْحَف والكليّة الآن
٥	جامعُ باب الغَوَانِمَة	داخلَ الحرم عند باب الغَوَانِمَة	مهجور
٦	جامعُ دارالإمام	داخلَ الحرم عند باب المجاهدين	مهجور
٧	جامعُ القلعَة	داخلَ القلعَة بباب الخليل	مهجور

المُصَلّى المَرْوَانيّ :

أ) يقع المسجدُ المروانيُّ في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة من المسجد الأقصى المبارك، وكان يُطلَق عليه قديمًا التسوية الشرقية من المسجد الأقصى.

ب) يتكوّن من (١٦) رُواقًا، تبلغُ مساحتُها (٣٧٧٥) مترًا مُربَّعًا، أي ما يُقارب (٤) دُونَمَات.

ج) استُعْمِلَ زمنَ الرسول ﷺ مُصَلًّى للأنبياء جميعًا ضمنَ المسجد الأقصى المبارك.

د) للتسوية مداخلُ عديدةٌ منها مدخلان من الجهة الجنوبيّة وخمسة مداخل من الجهة الشماليّة.

استخدمه معاوية كمُصلّى ومكان للتدريس.

هـ) خُصِّص زمنَ عبد الملك بن مروان كمدرسة فقهيّة متكاملة، ومن هنا أُطلِق عليه اسمُ المُصلّى المَرْوَانِيّ.

و) عند احتلال الصليبيين للمسجد الأقصى اُسْتُخدِمَ المكانُ مَرْبَطاً لخيولهم ودوابّهم، ومَخَازِنَ ذخيرةٍ، وأطلقوا عليه: اصْطَبْلاتِ سليمان.

ز) عند عودة القدس على يد صلاح الدين الأيوبيّ في (٢٧ رجب ٥٨٣هـ) أُغلِقتِ البوّاباتُ الجنوبيّةُ للمُصلّى وعددُها بابان (المفرد والثلاثي).

ح) سُقِفَ أيامَ العثمانيين/ سليمان القانوني وهو السقف الحالي.

ط) الأعمدةُ والأقواس في المصلى تعود لفترة عبد الملك بن مروان.

ي) تَمَّ افتتاحُه مُجَدَّدًا لجمهور المُصلّين في (١٩٩٦/١٢/١٢م)، بالتعاون بين هيئة الأوقاف الإسلاميّة وجمعية الأقصى (الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر) ولجنة التراث([١٦]).

الحفريّات في المسجد الأقصى

وهي نوعان: حفريات ظاهرة للعيان وحفريات مخفية ؛ فالظاهر منها النفق الذي افتُتح قبل سنة (أي في عام ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .)، وهو الواقع تحت سور المسجد الأقصى الغربيّ وعلى امتداده، بدايته من ساحة البراق، وهو ما يدعوه اليهود بالحائط الغربي لهيكل سليمان (حائط المبكى المزعوم)، الذي لا دلالة ظاهرة عليه، وينتهي شماليّ مئذنة الغوانمة، في طريق المجاهدين التي تسمى اليوم بـ«طريق الآلام».

وأما الحفريات الخفية على ما يبدو فهي أوسع رقعة ولا تَقِلّ عن الأولى بل تزيد، وهي من دون ساحات المسجد الأقصى المبارك من الغرب إلى الشرق، وأحدها تجاهَ مبنى المسجد الأقصى المبارك، والآخر تجاهَ مسجد الصخرة المشرفة. ولهذه الحفريات أخطارٌ عظيمة ماديّة ومعنويّة: أهمُّها أنها تمس بشكل مُباشِر صُلبَ الحياة الروحانية لدى المسلمين، والحفريات تُشَكّل خطرًا بالغًا على مباني المسجد الأقصى المبارك، وعلى رأسها المسجدان العظيمان: مبنى المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، وفيها أجزاء تُعَدُّ من أقدم الآثار العمرانية العظيمة في العالم؛ بل وقبة الصخرة التي هي أقدم الآثار الإسلامية الكاملة الباقية على الإطلاق، وقد تَسَبَّبَتْ هذه الحفرياتُ في انهيارات في داخل الأنفاق، وهي تُشَكّل على المدى البعيد، خطرًا على أساسات مباني المسجد الأقصى.

---

(١٦) مستقبل القدس وسُبُلُ إنقاذها من التهويد، ص:٦٢-٦٧، نقلا عن فلسطين في انتظار...ص:١٣١.

وقد قامت سلطةُ الآثار الصهيونيّة ووزارة الأديان بجهود حثيثة للتنقيب* عن الآثار اليهودية المزعومة، وحفر الأنفاق على طول الحائط الجنوبي والغربي للمسجد الأقصى المبارك. ويصل طولُ النفق الذي يمتد اليومَ من باب المغاربة وحتى المدرسة العمرية، إلى حوالي ٥٩١ مترًا. وقد أدّتْ هذه الحفرياتُ إلى تصدّع جميع الأبنية الإسلاميّة من مساجد وزوايا على الحائط الغربيّ للمسجد وسقوط بعضها.

ويقيم اليهود مجموعة من الكنس والمعابد في هذه الأنفاق، ويحاولون بشكل مستمر التسللَ إلى داخل المسجد، عَبْرَ هذه الأنفاق للوصول إلى قبة الصخرة المشرفة. وما تزال هذه الحفريات مستمرة منذ سنوات طويلة وحتى يومنا هذا.

الاعتداءات على المسجد الأقصى:

قام الكيان الصهيوني، ومنذ اليوم الأول من احتلاله القدسَ الشرقية عام ١٩٦٧م بتغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى، وإيجاد وضع قائم جديد يُكرِّسُ سيطرةَ اليهود على المسجد فقام بما يلي:

في الحادي عشر من يونيو عام ١٩٦٧م قامت إسرائيل بهدم حارة المغاربة المجاورة للحائط الغربي للمسجد الأقصى بعد مهلة ٢٤ ساعة أُعْطِيَتْ للسكان لإخلاء الحيّ؛ حيث تَمَّ طردُ ٦٥٠ عربيًا من حارة المغاربة التي أوقفها عليهم الملكُ الأفضلُ الأيوبي في القرن الثالث عشر الميلادي([١٧])، كما تَمَّ طردُ ٣٠٠٠ عربي من حارة الشرف، التي أُطْلِقَ عليها فيما بعد «حارة اليهود». وبهدم حارة المغاربة استولى اليهودُ على الحائط الغربي للمسجد (حائط البراق) وأطلقوا عليها زورًا وبهتانًا «حائط المبكى»، وتَمَّ توسيعُ الساحة الملاحقة له.

قام اليهودُ وفي نفس الفترة من عام ١٩٦٧م بهدم الزاوية الغربية للمسجد الأقصى المعروفة بالزاوية الفخرية وهدموا ١٤ منزلاً فيها.

قامت الشرطةُ الصهيونيةُ في ١٩٦٧/٨/٣١م بالاستيلاء على مفتاح باب المغاربة (وهو من أبواب المسجد الأقصى).

قام الصهاينة في عام ١٩٦٩م وبحجة المحافظة على أمن اليهود في حائط البراق الشريف (المبكى) بالاستيلاء على المدرسة التنكزية والمطلة على ساحة المسجد الأقصى المبارك وقاموا بطرد ١٠٥ أشخاص من ١٠ منازل إلى جانب المدرسة، وقاموا بتحويل المدرسة إلى مقرّ لحرس الحدود.

قام اليهوديّ الأسترالي «وينس دوهان» في وقت لاحق من عام ١٩٦٩م بإحراق الجزء الجنوبي

---

(١٧) الملك الأفضل نورالدين بن صلاح الدين (٥٦٤-٦٢٢هـ = ١١٦٩-١٢٢٥م) بكرأبناء صلاح الدين الأيوبي رحمه الله اشترك مع أبيه في معركة حطين، حكم دمشق وجميع بلاد الشام.

من المسجد الأقصى المبارك؛ حيث تم إحراق منبر صلاح الدين الأيوبي والحائط الجنوبي الذي تعود زخارفه إلى العهدين الأموي والعباسي، وقد اعتقلته الشرطة الصهيونية وقامت بترحيله بحجة أنه مختل عقليًا!

في عام ١٩٧٥م سمحت إحدى المحاكم الصهيونية بالسماح لليهود بالصلاة في المسجد الأقصى، بالتعاون مع الشرطة الصهيونية في ساحات المسجد.

استولت الشرطة الصهيونية على بوابات المسجد الأقصى المبارك. وتَمَّ منعُ المصلين من الدخول إلى المسجد بحجة المحافظة على الأمن داخلَ المسجد.

قام اليهود بعدد من المجازر والمذابح ضد المصلين في المسجد الأقصى المبارك، كان أشهرها المذبحة التي قامت بها القوات الصهيونية في ١٩٩٠/١٠/٨م والتي أدت إلى استشهاد ١٨ مصليًا وإصابة مئات الجرحى داخل المسجد.

يقوم الصهاينة منذ عام ١٩٦٧م بمنع أي محاولة للترميم داخل المسجد للأبنية الإسلامية فيه من مساجد وقباب وسبل في محاولة لتركها تتساقط وتنهار ثم إزالتها.

إن الاعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى المبارك بدأت تتكرر وبصورة شبه يومية في السنوات الأخيرة، وفي ظل تصاعد الحديث عن المرحلة النهائية في المفاوضات السلمية بين الصهاينة والسلطة الفلسطينية([١٨]).

واليهودُ هدفُهم الأكبر «الأشرف» هو هدم المسجد الأقصى، وبناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه، ولم يتوقفوا عن ذلك، منذ أن احتلّوا القدس وفلسطين، وهم دائبون على ذلك عاملون من أجله ليلَ نهارَ وعلى مرأى ومسمع من العالم؛ لأنهم يعلمون أنّ أحدً لن يعترضَ طريقهم ؛ فالمسلمون والعرب في حالةِ ضعفٍ مُخْزِيَة وحالةِ تَشَرْذمٍ مُزْرِيةٍ لايقدرون اليومَ على تحدّيهم ومُقاوَمَتِهم باللسان فضلاً عن مقاومتهم بالسيف والسنان. أمّا المجتمعُ الدوليُّ مُتَمَثّلاً في الأمم المُتَّحِدَة وأمريكا وبريطانيا وأوربّا فإنّه معَ اليهود بكل دَعْم ماديّ ومعنويّ؛ من هنا فالخطرُ أكيدٌ، والخوفُ شديدٌ من هدم الأقصى في أيّ لحظة تكون بالتأكيد مُؤْسِفَة للعالم الإسلامي بشكل لن تَقْدِرَ الأقلامُ والألسنةُ على وَصْفِه .

ومنذُ وقتٍ نَشَرَتْ رسالةُ «الإخوان» اللندنيةُ تقريرًا خطيرًا في هذا الشأن؛ كشف النقاب عن دعوة زعيم صهيونيّ مُتَطرِّف لإزالة الأقصى عاجلاً. ونصُّه كما يلي:

([١٨])رسالة الإخوان، لندن، العدد: ٥١١، ٥١٤: الدكتور يوسف كامل إبراهيم في مقاله: «دراسة تحليلية عن القدس والأقصى»نقلا عن فلسطين في... ص:١٣٤.

زعيم صهيوني متطرف يدعو لإزالة المسجد الأقصى

دعا يهودا إيتسيون – زعيم حركة أمناء جبل الهيكل – : «يتعين على كيانهم الصهيوني أن يعود إلى جبل الهيكل وسوف يعود، قد لا يكون ذلك غدًا، ولكن لابد من أن يحدث، يجب أن يرفع الإسلام يديه عن جبل الهيكل ويتخلى عنه».. وزعم في تصريحات نقلتها وكالة رويترز «أن استيلاءَ اليهود على المُجَمَّع – الذي يضم المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة بشكل عام – سيتم من خلال مواجهة بين الصهاينة والمسلمين، الذين سيُصِرُّون على التمسك بما سرقوه»؛ في اتهام للفلسطينيين أنهم سرقوا الأقصى الذي يَدَّعِي اليهود أنه يعود إليهم.

ويتزعم إيتسيون «حركة أمناء جبل الهيكل»، وهي واحدة من بين عدة جماعات يهودية تنتمي لليمين الصهيوني المتطرف تسعى لهدم مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى تمهيدًا لإقامة «الهيكل الثالث».

وقد سبق أن حذّر وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي «تساحي هنجبي» في مقابلة مع القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي السبت ٢٠٠٤/٧/٢٤م من وجود ما وصفه بـ«تهديد كبير» باعتداء ينفذه متطرفون ضدَّ الحرم القدسي لنسف خطة رئيس الوزراء «إريل شارون» للانسحاب من قطاع غزة، وأعْرَبَ نائبُ وزير الأمن الداخلي «جدعون عزرا» عن مَخَاوف مُمَاثلة.

وذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية الأحد ٢٠٠٤/٧/٢٥م أن جهازَي الشرطة والأمن الداخلي (شين بيت) يَخْشَيَان هجومًا يُنَفَّذ بطائرة بدون طيار مُحَمَّلة بالمتفجرات أو يُنَفِّذُه طيّار انتحاري يُفَجِّر طائرتَه في باحة الحرم القدسي (الذي يضم المسجد الأقصى وقبة الصخرة) على جموع المصلِّين.

وقال الشيخ عكرمة صبري – المفتي العام للديار الفلسطينية المقدسة – لـ«إسلام أون لاين. نت : » «الهدفُ من وراء هذه التحذيرات هو إحكام السيطرة الإسرائيلية على المسجد الأقصى المبارك بحجة حمايته من المتطرفين اليهود».

وَدَلَّلَ على وجهة نظره بحادثة مُمَاثِلة استخدمتْها إسرائيلُ كذريعة للسيطرة على الحرم الإبراهيمي عندما قامت سُلُطاتُ الاحتلال في أعقاب مذبحة الحرم الإبراهيمي بادّعاء أنها تريد حمايتَه من اليهود المتطرفين؛ ولكن بعد أن وضعت سيطرتَها عليه منعتِ المسلمين من الدخول إليه؛ بل وفرَضَتْ عليهم عقابًا لا يمكن أحدًا أن يحتمله، مثل التفتيش الإلزامي وإجبار المسلمين على التعرّي في كثير من الأحيان.

واعتبر صبري أن قوات الاحتلال لو أنها جادة في حرصها على حماية المسجد الأقصى، فإن عليها مراقبة المتطرفين اليهود قبل دخولهم إلى المسجد، وبإمكانها أن تقوم باعتقالهم قبل وصولهم إلى

البوابات.

ولم يستبعد صبري وقوعَ مثل هذه الهجمات على المسجد، مُؤَكّدًا أن الأقصى للمسلمين وحدَهم، وليس هناك أدنى حق لليهود فيه، مُحَمّلاً في الوقت نفسه القواتِ الإسرائيلية المسؤولية الكاملة.

وقال شاكر النتشة – مدير دار الفتوى في القدس – : «إن مثل هذه التحذيرات ليست بالأمر الجديد، وتثيرها إسرائيل سنويًا، وتتخذها ذريعة تهدف من ورائها إلى إحكام السيطرة على المسجد الأقصى».

ووصف النتشة الوضعَ داخلَ المسجد بأنه «حَرِج وبحاجة إلى شدة وصلابة أكثر في التفتيش على اليهود وليس على العرب»، مُؤَكّدًا أن الشرطة الإسرائيلية التي تتواجد على الأبواب تقوم بتفتيش المصلين العرب وليس اليهود الذين يدخلون بثياب غير أخلاقية تسيء إلى حرمة المسجد الأقصى.

وشكك الشيخ كمال الخطيب – نائب رئيس الحركة الإسلامية داخلَ الخطّ الأخضر – في أن يكون الهدفُ من تصريحات وزير الأمن الداخليّ الإسرائيليّ حماية المسجد الأقصى .

وقال: «ينطبق المثلُ العربي الشهير (حاميها حَرَامِيّها) على تصريحات هنجبي، فهو الذي افتخر قبل ٨ أشهر بأن أهم إنجاز له كان هو السماح لليهود بدخول المسجد الأقصى يوم ٢٠٠٣/٦/٢٣م، وهو الآن يُحَذّر من وجود متطرفين يهود، فهذا ليس من قبيل الحرص».

ونَوّهَ الخطيب إلى أن المسجد الأقصى في خطر؛ «حيث إن هناك جماعات يهودية تعتقد أن عام ٢٠٠٥م هو العام الذي إن لم يقم فيه اليهود ببناء الهيكل الثالث فسينزل عليهم غضب الرب». وطالب جميع أصحاب الهمم الفلسطينية في الداخل والخارج والأمة العربية بالتصدى لمحاولات إسرائيل بالإضرار بالمسجد الأقصى .

وأكد الخطيب التصورات التي وضعتها «ها آرتس» للهجوم على الأقصى، مُعْرِبًا عن اعتقاده أنه في حال شنّ هذا الهجوم فإن المتطرفين سيختارون تنفيذه وقتَ أداء الصلاة لارتكاب مجزرة في صفوف المسلمين.

وأشار الخطيب إلى أن «هذه السيناريوهات حتى وإن لم تحدث فإنها لا تلغي وجودَ خطر داهم يُهدّد المسجدَ الأقصى المبارك في هذه الأيام».

وأكد سماحة الشيخ تيسير التميمي قاضي قضاة فلسطين أن «المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين يتعرّض لهجمة ومخطط إسرائيلي يهدف إلى الإستيلاء عليه بالكامل وتهويده وهدمه، مُطالِبًا بأخذ تصريحات وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي على محمل الجد.

وحذّر المسلمين «في مشارق الأرض ومغاربها من مغبة السكوت على ما يجري؛ لأن الخطر يقترب من المسجد الأقصى الذي يُعْتَبَر من المقدسات الإسلامية، وطالب بسرعة العمل على حماية المقدسات الإسلامية، وعلى رأسها المسجد الأقصى».

رسالة الإخوان تُعَلِّقُ على ذلك بما يلي:

«من باب الحيطة والحذر، يجب النظر بمنتهى اليقظة والجدية، إلى التهديد المُوَجَّه إلى ثالث الحرمين وأولى القبلتين الذي يستثمر حالة الضعف الراهنة في الأنظمة العربية والإسلامية بما فيها السلطة الفلسطينية، والذي ينطلق من عقيدة راسخة استقرت في وجدان منتسبي الحركتين الصهيونية والمسيحية الصهيونية القائمة على تنبؤات قديمة مُحَرَّفة تَدَّعي أن عودة السيد المسيح عيسى عليه السلام مرة أخرى مرهونة بعودة اليهود وسيطرتهم المطلقة على فلسطين والقدس وإعادة بناء هيكلهم (على أنقاض الأقصى المبارك).

وإن أمة الإسلام بما تُمَثِّلة من مليار و ٣٠٠ مليون مسلم لن ترضى أو تقف مكتوفة الأيدي أمام أي محاولة من هذا القبيل .. فدماء أبنائها وأرواحهم فداء لمقدساتهم.. كما كان تاريخهم على الدوام.

ومن هنا يجب التعامل مع هذه التهديدات من قبل كل الأطراف المعنية بما تُمَثِّله من خطورة على الأمن والسلم العالميين، وبما تؤدي إليه من نشوء انفجار بركان قادم لا مَحَالَة.. خاصة وقد جرت محاولاتٌ سابقةٌ من قبل متطرفين صهاينة لحرق ونسف المسجد الأقصى.

وقد حَذَّرَتْ فعالياتٌ عربية إسلامية من آثار وقوع هذا الخطر وعلى رأسها فضيلة الدكتور محمد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر وحركة المقاومة الإسلامية «حماس» ومنظمة المؤتمر الإسلامي» (١٩)

مؤسسة الأقصى:

إسرائيل تحفر نفقًا جديدًا بعمق ١٠ أمتار أسفلَ المسجد الأقصى

وفي الثاني من فبراير من هذا العام ٢٠٠٧م (الجمعة ١٣/ محرم ١٤٢٨هـ) حَذَّرت رسالة الإخوان من النفق الجديد العميق الذي حفرته إسرائيل تحت المسجد الأقصى. والتحذيرُ كما يلي:

كشفت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، داخل الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، عن قيام جمعية «إلعاد» الإسرائيلية وبواسطة سلطة الآثار الإسرائيلية، بحفر نفق جديد يبدأ من أسفل منطقة عين «سور التضليل»، ويتجه شمالاً باتجاه السور الجنوبي للمسجد الأقصى.

وأكَّدَتْ أن النفق الجديد، يجري بعمق أكثر من عَشَرَة أمتار، وبعرض أكثر من مترين، وأنّ

---

(١٩) رسالة الإخوان، لندن، العدد: ٣٧٩، نقلا عن فلسطين في... ص:١٣٩.

مسافة الحفر حتى الآن وصلت إلى أكثر من ٣٠ مترًا .

وأوضحت المؤسسة، أن إسرائيل وضعت في النفق الذي تحفره كل البنى التحتية ؛ ليتسنى لها الاستمرارُ بالحفر على مدار الساعة، وأشارت إلى أنها مَدَّتْ شبكة كهرباء وإنارة قوية وشبكة تهوية، وشبكة تخلية للغبار، وجوانب وسقف حديدين متينين، فيما تَمَّ إغلاقُ النفق من جميع الجوانب، وغُطّيَ بغطاء أسودَ بحيث لا يمكن رؤيته حتى للمارّين بجانبه.

واعتبرت مؤسسة الأقصى، حفرَ هذا النفق دلالة واضحة، على عزم إسرائيل مواصلة خطواتها المتسارعة لإيقاع الأذى بالمسجد الأقصى «مبنى وعمرانًا وتاريخًا وحضارةً» على حد تعليق البيان.

وأضاف البيان، أن هذه الخطوة تأتي «في محاولة لتزييف التاريخ وتحقيق الحلم الموهوم ببناء الهيكل الثالث المزعوم على حساب المسجد الأقصى». مشيرًا إلى أن إسرائيل «عازمة على إيقاع هذا الأذى على القدس والأقصى كهدية للمجتمع اليهودي بمناسبة مرور ٤٠ عامًا على احتلال القدس والأقصى»، حسب قوله.

وطالبتْ مؤسسةُ الأقصى «الهيئاتِ الإسلامية والمسيحية، بالعمل السريع واتخاذ الخطوات اللازمة لوقف هذه الحفريات الخطيرة جدًا على مستقبل المسجد الأقصى، ومدينة القدس الشريف ووقف عمليات الحفر ومسلسل التزييف والتضليل»، على حد وصفها.

يُذكَر أن المؤسسة، كانت قد كشفت قبل عدة أيام عن قيام جميعة «عطيرات كوهنيم» اليهودية المتطرفة، ببناء كنيس يهودي يبعد ٥٠ مترًا فقط عن المسجد الأقصى يقام على أرض وقفيّة إسلامية([٢٠]).

رائد صلاح يكشف مخطّطاً إسرائيليًا

لإقامة هيكل يهودي بين قبة الصخرة والمسجد القبلي

وكشف الشيخ «رائد صلاح» رئيس الحركة الإسلامية بفلسطين المحتلة مُخَطّطاً إسرائيليًا عاجلاً لإقامة الهيكل ونشرتْ رسالة الإخوان مؤخرًا هذا الكشفَ، وهو كما يلي:

كشف رئيس الحركة الإسلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، الشيخ «رائد صلاح» عن مخططات خطيرة لسلطات الاحتلال الإسرائيلية، تهدف إلى إقامة هيكل مزعوم ما بين الصخرة والمسجد القبلي المسقوف في المسجد الأقصى، بالإضافة إلى الكشف عن مُخَطّط لإغلاق باب المغاربة وفتح باب جديد من ساحة البراق يؤدي إلى ساحات المسجد الأقصى، وهو ما يمكّن

([٢٠]) رسالة الإخوان، لندن، العدد: ٤٩٢، نقلا عن فلسطين في... ص: ١٤٠.

الصهاينة من اقتحام المسجد الأقصى .

كما تحدث الشيخ صلاح في مؤتمر صحفي عقده في مدينة اسطنبول التركية الجمعة (٢٠٠٧/١١/١٦م= ٥/ذوالقعدة ١٤٢٨هـ) عن مُخَطَّطات خطيرة أخرى تستهدف المسجدَ الأقصى وتهويدَ مدينة القدس، من أخطرها حفرُ العديد من الأنفاق أسفلَ المسجد الأقصى المبارك وبناءُ كنس يهودية على أجزاء من المسجد الأقصى.

وكشف الشيخ صلاح في مؤتمره عن مذكرة إسرائيلية، لحفر نفق يمتد تحت المصلى المرواني ويتجه إلى داخل المسجد الأقصى، بالإضافة إلى حفر نفق تحت المسجد الأقصى يبدأ من المحيط الغربيّ للمسجد الأقصى ويتجه إلى داخل المسجد الأقصى بهدف أن يكون طريق اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيليّ للمسجد الأقصى، مُضيفًا: «إن المذكرة تتحدث عن مُخَطَّط لاقتطاع جزء من مقبرة الرحمة المدفون بها عددٌ من الصحابة ليشيدوا مكانَها محطة تليفريك «سلات هوائية».

وأشار الشيخ صلاح في ختام المؤتمر الصحفي إلى أن هناك أنفاقًا تحت المسجد الأقصى أصبحت مكشوفة رغمَ محاولة الاحتلال الإسرائيلي التغطية عليها، إضافة إلى أنفاق أخرى لم يتمّ الكشفُ عنها حتى الآن.([٢١])

الجدار العازل

شرع الكيانُ الصهيونيُ ببنائه في السادسَ عَشَرَ من شهر يونيو/ عام ٢٠٠٢م في مناطق الضفة والقطاع والقدس، بزعم منع «عمليات التسلل الإرهابية» إلى مناطق ١٩٤٨م، ووقفِ العمليات ضد الكيان!! وحقيقتُه ضمُّ أجزاء كبيرة من الأراضي الفلسطينية بدون سكانها إلى الكيان الصهيونيّ بشكل نهائي، وضم الكثير من المستعمرات القريبة أصلا من «الخط الأخضر» إلى الكيان الصهيوني، بدلاً من تفكيكِها وإنهاء وجودها، ورسم الحدودِ على الأرض، وفرض واقع سياسيّ جديدٍ، لمنَع إقامة أي كيان سياديّ فلسطيني على أي جزء من أرض فلسطين، بعد أن ضَمِنَ السيطرة التامّة على عبور الأشخاص والبضائع، سواء على المعابر بينه وبين الأراضي الفلسطينية أو تلك المعابر على الحدود مع الدول الأخرى .

جدارُ تَوَغُّلٍ في عمق أراضي ١٩٦٧م استَوْلَىٰ على ٢٣٪ من أخصَب الأراضي في الضفة الغربية، وعلى ٧٥٪ من مياهها، وحَاصَرَ ٨٧٥ ألف فلسطيني في القرى والمدن، و ٧٨ مدينة وقرية بين جدارين وَبَوَّابات. ويُعَدُّ أكبرَ سجن مساحة في التأريخ المُعَاصر، ويضمّ أكثرَ عددًا من المساجين،

([٢١]) رسالة الإخوان، لندن، العدد: ٥٣٢، نقلا عن فلسطين في... ص:١٤٢.

وأسوارُه أطوَلُ بثلاثة أضعاف من جدار «برلين» وأعلى منه بمرتين. ووفقَ تقرير «الأمم المتحدة» فإن ١١٪ فقط من مسار الجدار يسير بمحاذاة الخطّ الأخضر الذي يَفصِل بين الضفة الغربية والمناطق التي احتَلّتْ في عام ١٩٤٨م .

وشَكّلَ بذلك عائقًا حَيَويًا أمام التواصل الطبيعيّ بين المدن الفلسطينية، وعزلَ الفلسطينيين بعضَهم عن بعض، ومَنَعَ التواصلَ الحدوديَّ بين الدولة الفلسطينية وبين دول الجوار، وباختصار: الجدار لم يُلغِ فقط إمكانية قيام دولة فلسطينية مستقلة بل ألغى كذلك إمكانياتِ الوجود الفلسطينيّ على هذه الأرض، لأنه يجعل الجانبَ الفلسطينيَّ المُفتَرَضَ أشبهَ بذُوَيلةِ مَعَازل متفرقة، وغير قابلة للحياة .

قُضَاةُ المَحْكَمَة الدوليّة باستثناء القاضي الأميركيّ يجدون إسرائيلَ

في انتهاك صارخ للقانون الدوليّ في بناء الجدار

أقرّتْ محكمة العدل الدوليّة في «لاهاي» في هولندا بجميع قضاتها باستثناء القاضي الأميركي وبعد ١٣٦ يومًا من المداولات، أن إسرائيل تنتهك بشكل صارخ القانونَ الدوليَّ في بنائها جدارَ الفصل الذي تقيمه في عمق الضفة الغربية المحتلة، وطالبَتْها بوقفِ البناء فيه وهدمِ ما شُيِّد منه حتى الآن.

كما دَعَتْ إسرائيلَ إلى دفع تعويضات للفلسطينيين الذين تَضَرَّرُوا بسبب بنائه.. ورَفَضَ جميعُ القضاة الـ ١٥ بمن فيهم الأميركي إدّعاءاتِ إسرائيلَ بأنها أي المحكمة لا تتمتع بصلاحيّات النظر في شرعيّة الجدار، ومزاعمَها بأنه كان ضروريًا لاعتبارات أمنية.. ودعا القضاةُ، من بينهم قاضيان عربيّان من مصر والأردن، في مُلخَّص قرارهم الأمَمَ المتحدةَ إلى بحث الخُطوَات التي يجب اتخاذُها «لإنهاء الوضع الذي لا يُحتَمَل والناتج عن بناء الجدار وتعزيز وجودِ الشرطةِ جراءَ ذلك، وأخذِ رأي المحكمة بعين الاعتبار».

ودعا القرارُ الأممَ المتحدةَ ، خاصّةً الجمعيّة العامّة ومجلسَ الأمن، إلى النظر في الإجراء المطلوب عملُه لوضع حدّ للوضع غير القانونيّ الناجم عن إقامة الجدار، آخذين بعين الاعتبار الرأيَ الاستشاريَ هذا.

من جانبها، رفضت إسرائيلُ كما كان مُتَوَقَّعًا حكمَ المحكمة جُملةً وتفصيلاً.. وأكّدَتْ كما كان مُتَوَقَّعًا أيضًا أنها لن تلتزم به بأي شكل من الأشكال.. ويأتي قرارُ المحكمة الدوليّة بناءً على قرار اتخذتْه الجمعيةُ العامّةُ للأمم المتحدة في ديسمبر٢٠٠٣/٨م، يطالب المحكمة بموجب البند ٦٥ من دستور المحكمة لتقديم رأيها الاستشاريّ حولَ السؤال التالي: «ما هي العواقب القانونية الناجمة عن إقامة الجدار الذي تبنيه إسرائيلُ «القوة المحتلة» في الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدسُ الشرقيةُ، كما جاء

في تقرير الأمين العام، بموجب أحكام ومبادئ القانون الدولي بما فيه معاهدةُ جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م وقراراتُ مجلس الأمن الدولي والجمعيةِ العامّة ذاتُ الصلة .([٢٢])

نظرة عا برة على المذابح التي قامت بها الدولة الصهيونية ضد العرب منذ عام ١٩٤٧م حتى عام ١٩٩٦م

١- مذبحة قَرْيَتَي «الشيخ» و «حواسة» ٣١ ديسمبر عام ١٩٤٧م

انفجرت قنبلةٌ خارجَ بناء شركة مِصفاة بترول «حيفا» وقتلت وجرحت عددًا من العُمَّال العرب القادمين إلى المصفاة. وإثْرَ ذلك ثار العمالُ العربُ بالشركة، وهاجموا الصَّهَاينَةِ([٢٣]) العاملينَ بالمصفاة بالمَعَاول والفؤوس وقُضبَان الحديدِ، وقتلوا وجَرَحُوا منهم نحوَ ستين صهيونيًّا. وكان قسمٌ كبيرٌ من العمال العرب في هذه المصفاة يقطنون قريَتَيْ «الشيخ» و «حواسة» الواقعتين جنوبَ شرق «حيفا» ولذا خَطَّط الصَّهَاينَةُ للانتقام بمُهَاجَمة البلدتين .

وفي ليلة رأس السنة الميلادية ١٩٤٨م بدأ الصهاينةُ هجومَهم بُعَيْدَ منتصف الليل، وكان عددُ المهاجمين بين ١٥٠، ٢٠٠ صهيونيّ رَكَّزُوا هجومَهم على أطراف البلدتين، ولم يكن لدى العرب سلاحٌ كافٍ، ولم يَتَعَدَّ الأمرُ وجودَ حراسات محليّة بسيطة في الشوارع .

هَاجَمَ الصهاينةُ البيوتَ النائية في أطراف هاتين القريتين، وقذفُوها بالقنابل اليدوية، ودخلوا على السكان النائمين وهم يُطلِقُون نيرانَ رَشَّاشَاتهم. وقد استمرَّ الهجومُ ساعة انسحب إثرَها الصهاينةُ في الساعة الثانية صباحًا، بعد أن هاجموا حوالي عشرةِ بيوت، وراح ضحيّة ذلك الهجوم نحوُ ٣٠ فردًا بين قتيل وجريح، مُعْظَمُهُم من النساء والأطفال، وتركوا شَوَاهِدَ من الدماء والأسلحة تَدُلُّ على عُنْف المقاومةِ التي لقُوهَا.

٢- مذبحة قرية «سعسع» ١٤-١٥ فبراير ١٩٤٨م

شَنَّت كتيبةُ «البالماخ» الثالثة هجومًا على قرية «سعسع» فدَمَّرَتْ ٢٠ منزلاً فوق رؤوس سكانها، وأسفرَ ذلك عن مقتل ٦٠ عربيًا، معظمُهم من النساء والأطفال. وقد وُصِفت هذه العمليةُ بأنها «مثالية».

([٢٢]) فلسطين في انتظار...ص: ٨٢.

([٢٣]) الصَّهَايَنَة: جمع صهيونٍ، نسبة إلى «صِهْيُوْنَ» جَبَلٌ قربَ القدس (أورشليم). والصهيونيّ: كلُّ من يتبنّى الصهيونيةَ، وهي حركة تدعو إلى إقامة مجتمع يهوديّ مستقل في فلسطين. والكلمة أصلاً بكسر الصاد المهملة ؛ ولكن جرت على الألسنة بفتح الصاد المهملة.

٣- مذبحة «رحوفوت» ٢٧ فبراير ١٩٤٨م

حدثت في مدينة «حيفا» قربَ «رحوفوت» حيث تَمَّ نسفُ قطار القنطرة. الأمر الذي أسْفَرَ عن استشهاد سبعة وعشرين عربيًا وجَرْح ستة وثلاثين آخرين.

٤- مذبحة «كفر حسينية» ١٣ مارس ١٩٤٨م

قامت «الهاجاناه» بالهجوم على القرية، وقامت بتدميرها، وأسْفَرَتِ المذبحةُ عن استشهاد ثلاثين عربيًا.

٥- مذبحة «بنيامينا» ٢٧ مارس ١٩٤٨م

حَدَثَتْ مذبحتان في هذا الموضع؛ حيث تَمَّ نسفُ قطارين، أوَّلهما نُسِفَ في ٢٧/مارس، وأسفر عن استشهاد ٢٤ فلسطينيًا عربيًا، وجُرِحَ أكثرُ من ٦١ آخرين، وتَمَّتْ عمليةُ النسف الثانية في ٣١ من نفس الشهر؛ حيث استُشْهِدَ أكثرُ من ٤٠ عربيًا وجُرِح ٦٠ آخرون .

٦- مذبحة «دير ياسين» ٩ أبريل ١٩٤٨م

مذبحة ارتكبتها مُنَظَّمَتَان عسكريَّتَان صَهْيُونِيَّتَان هما «الإرجون» (التي كان يَتَزَعَّمُها «مناحم بيجين» رئيسُ وزراء إسرائيل فيما بعد) و«شتيرن ليحي» (التي كان يَتَرَأَسُهَا «إسحق شامير» الذي خَلَفَ «بيجين» في رئاسة الوزارة). وتَمَّ الهجومُ باتفاق مُسَبَّق مع «الهاجاناه» وراح ضحيتَها زهاءُ ٢٦٠ فلسطينيًا من أهالي القرية العُزَّل. وكانت هذه المذبحةُ، وغيرُها من أعمال الإرهاب والتنكيل، إحدى الوسائل التي انتهجتها المنظماتُ الصهيونيةُ المُسَلَّحةُ، من أجل السيطرة على الأوضاع في فلسطين، تمهيدًا لإقامة الدولة الصهيونية .

تقع قرية «دير ياسين» على بُعد بضعة كيلومترات من القدس على تلّ يربط بينها وبين «تل أبيب». وكانت القدسُ آنذاك تَتَعَرَّض لضربات مُتَلاحِقَة، وكان العربُ، بزعامة البطل الفلسطيني عبد القادر الحسيني، يُحْرِزُونَ الانتصاراتِ في مواقعهم؛ لذلك كان اليهودُ في حاجة إلى انتصار حسب قول أحد ضُبَّاطِها «من أجل كسر الروح المعنوية لدى العرب، ورفع الروح المعنوية لدى اليهود»؛ فكانت «دير ياسين» فريسة سهلة لقوات «الإرجون». كما أن المنظماتِ العسكرية الصهيونية كانت في حاجة إلى مطار يخدم سكانَ القدس. كما أن الهجومَ وعملياتِ الذبح والإعلان عن المذبحة هي جزءٌ من نَمَطٍ صهيونيّ عامّ يهدف إلى تفريغ فلسطين. من سكانها عن طريق الإبادة والطرد.

كان يقطن* القرية العربية الصغيرةَ ٤٠٠ شخص، يتعاملون تجاريًا مع المُسْتَوْطَنَات المُجَاوِرَة، ولا يملكون إلا أسلحة قديمة يرجع تاريخُها إلى الحرب العالمية الأولى .

في فجر ٩ أبريل عام ١٩٤٨م دخلت قواتُ «الإرجون» من شرق القرية وجنوبها، ودخلت قواتُ «شتيرن» من الشمال ليحاصروا القرية من كل جانب ما عدا الطريقَ الغربيَّ، حتى يفاجئوا السكانَ وهم نَائِمُونَ. وقد قُوبِلَ الهجومُ بالمقاومة في بادئ الأمر، وهو ما أدَّى إلى مصرع ٤ وجرح ٤٠ من المهاجمين الصَّهَايِنَة. وكما يقول الكاتب الفرنسي «باتريك ميرسييون» : «إن المُهَاجِمِين لم يخوضوا مثلَ تلك المعارك من قبل، فقد كان من الأيسر لهم إلقاءُ القنابل في وسط الأسواق المزدحمة عن مهاجمة قريةٍ تُدَافِع عن نفسها؛ لذلك لم يستطيعوا التقدمَ أمام هذا القتال العنيف.

ولمواجهة صمود أهل القرية، استعان المهاجمون بدعم من قوات «البالماخ» في أحد المُعَسْكَرَات بالقرب من القدس؛ حيث قامت من جانبها بقصف القرية بمَدَافِع «الهاون» لتسهيل مهمة المهاجمين. ومع حلول الظهيرة أصبحتِ القريةُ خاليةً تمامًا من أية مُقَاوَمَة؛ فقرَّرت قواتُ «الإرجون» و«شتيرن» (والحديث لميرسييون) «استخدامَ الأسلوب الوحيد الذي يعرفونه جيدًا، وهو الديناميت. وهكذا استَوْلَوْا على القرية عن طريق تفجيرها بيتًا بيتًا. وبعد أن انتهتِ المُتَفَجِّراتُ لديهم قاموا «بتنظيف» المكان من آخر عناصر المقاومة عن طريق القنابل والمدافع الرَّشَّاشَة، حيث كانوا يُطْلِقُونَ النيرانَ على كل ما يَتَحَرَّك داخلَ المنزل من رجال ونساء، وأطفال وشيوخ». وأوْقَفُوا العشراتِ من أهل القرية إلى الحوائط، وأطلقوا النارَ عليهم. واستمرَّتْ أعمالُ القتل على مدى يومين. وقامتِ القواتُ الصهيونيةُ بعمليات تشويه سَادِيَّةٍ (تَعذيب – اعتداء – بتر أعضاء – ذبح الحوامل والمُرَاهَنة على نوع الأجِنَّة).

وأُلقِي ٥٣ من الأطفال الأحياء وراءَ سور المدينة القديمة، واقتِيدَ ٢٥ من الرجال الأحياء في حافلات ليطوفوا بهم داخلَ القدس طوافَ النصر، على غرار الجيوش الرومانية القديمة، ثم تَمَّ إعدامُهم رميًا بالرصاص. وأُلقِيَتِ الجُثَثُ في بئر القرية وأُغلِقَ بابُه بإحكام لإخفاء معالم الجريمة. وكما يقول «ميرسييون» : «وخلال دقائق، وفي مواجهة مقاومة غير مسبوقة، تحوَّل رجالُ وفتياتُ «الإرجون» و«شتيرن»، الذين كانوا شبابًا ذوي مُثُل عليا، إلى «جزارين»، يقتلون بقسوة وبرودة ونظام مثلما كان جنودُ قوات النازية يفعلون». ومنعت المنظماتُ العسكريةُ الصهيونيةُ مبعوثَ «الصليب الأحمر» جاك دي رينييه» من دخول القرية لأكثر من يوم. بينما قام أفراد «الهاجاناه» الذين احتَلُّوا القرية بجمع جُثَث أخرى في عناية وفجَّرُوها، لتضليل مندوبي الهيئات الدولية، وللإيحاء بأن الضحايا لقُوا حتفهم خلالَ صِدَاماتٍ مُسَلَّحَةٍ . (عَثَرَ مبعوثُ «الصليب الأحمر» على الجُثث التي أُلقِيَتْ في البئر فيما بعد).

وقد تباينت ردودُ أفعال المنظمات الصهيونية المختلفة بعد المذبحة؛ فقد أرْسَلَ «مناحم بيجين» برقية تهنئةٍ إلى «رعنان» قائدِ «الإرجون» المحليّ قال فيها: «تهنئتي لكم لهذا الانتصار العظيم، وقُلْ

لجنودك: إنهم صنعوا التاريخَ في إسرائيل». وفي كتابه المُعَنْوَن «الثورة» كَتَبَ «بيجين» يقول: «إن مذبحة «دير ياسين» أسْهَمَتْ مع غيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد من ٦٥٠ ألف عربي». وأضاف قائلاً: «لولا «ديرياسين» لما قامت إسرائيل». وقد حَاوَلَتْ بعضُ القيادات الصهيونية التَنَصُّل من مسئوليتها عن وقوع المذبحة. فوَصَفَها «ديفيد شالتيل» قائدُ قوات «الهاجاناه» في القدس آنذاك، بأنها «إهانة للسلام العبري». وهَاجَمَها «حاييم وايزمان» و وَصَفَها بأنها عملٌ إرهابيٌّ لا يليق بالصَّهَاينة. كما نَدَّدَتْ الوكالةُ اليهوديةُ بالمذبحة. وقد قامت الدعاية الصهيونية على أساس أن مذبحة «دير ياسين» مُجَرَّدُ استثناءٍ، وليست القاعدةَ، وأن هذه المذبحة تَمَّت دون أي تدخُّل من جانب القيادات الصهيونية؛ بل ضدَّ رغبتها. إلاّ أن السنوات التالية كشفتِ النقابَ عن أدلة دامغةٍ تُثْبت أنَّ جميعَ التنظيمات الصهيونية كانت ضالعةً في ارتكاب تلك المذبحة وغيرها، سواء بالاشتراك الفعليّ في التنفيذ أو بالتواطؤ أو بتقديم الدعم السياسي والمعنوي .

١- ذكر «مناحم بيجين» في كتابه «الثورة» أن الاستيلاء على «دير ياسين» كان جزءًا من خُطَّةٍ أكبرَ وأن العملية تَمَّتْ بكامل علم «الهاجاناه» وبموافقة قائدها»، وأن الاستيلاءَ على «دير ياسين» والتمسك بها يُعَدُّ إحدى مراحل المُخَطَّط العامّ رغمَ الغضب العَلَنِيّ الذي عَبَّرَ عنه المسؤولون في الوكالة اليهودية والمتحدثون الصهاينة .

٢- ذكرت موسوعة الصهيونية وإسرائيل (التي حَرَّرَها العالمُ الإسرائيليُّ «روفائيل باتاي») أنَّ لجنة العمل الصهيونية (اللجنة التنفيذية الصهيونية) وافقت في مارس من عام ١٩٤٨م على «ترتيبات مُوَقَّتة، يتأكد بمقتضاها الوجودُ المستقل للإرجون؛ ولكنّها جَعَلَتْ كلَّ خطط «الإرجون» خاضعة للموافقة المُسَبَّقة من جانب قيادة «الهاجاناه».

٣- كانت «الهاجاناه» وقائدُها في القدس «ديفيد شالتيل» يَعْمَلُ على فرض سيطرته على كلّ من «الإرجون» و«شتيرن»، فلما أدركتا خطة «شالتيل» قَرَّرَتا التعاونَ معًا في الهجوم على «دير ياسين». فأرسل «شالتيل» رسالة إليهما تُؤَكِّد لهما الدعمَ السياسيَّ والمعنويَّ في ٧ أبريل، أي قبل وقوع المذبحة بيومين، جاء فيها: «بَلَغَنِي أنكم تُخَطِّطُونَ لهجوم على «دير ياسين». أودّ أن أُلفِتَ انتباهَكم إلى أن «دير ياسين» ليست إلا خطوةً في خططنا الشاملة. ليس لديَّ أيُّ اعتراض على قيامكم بهذه المُهمّة، بشرط أن تُجَهِّزوا قوةً كافيةً للبقاء في القرية، بعد احتلالها؛ لئلا تَحْتَلَّها قُوًى معادية وتُهَدِّد خُطَطَنَا».

٤- جاء في إحدى النشرات الإعلامية التي أصْدَرَتْها وزارةُ الخارجية الإسرائيلية أن ما وُصِفَ بأنه «المعركةَ من أجل دير ياسين» كان جزءًا لا يتجزّأ من «المعركة من أجل القدس».

٥- أقرَّ الصهيونيُّ العُمَّالِيُّ «مانير بعيل» في السبعينيات بأن مذبحة «دير ياسين» كانت جزءًا من مُخَطَّط عامٍّ، اتفقت عليه جميعُ التنظيمات الصهيونيّة في مارس ١٩٤٨م، وعُرِفَ باسم «خُطَّة د»، وكان يَهْدِفُ إلى طردْ الفلسطينيين من المدن والقرى العربيّة قُبَيْلَ انسحاب القوات البريطانيّة، عن طريق التدمير والقتل وإشاعة جوّ من الرعب والهلع بين السكان الفلسطينيين. وهو ما يَدْفَعُهم إلى الفرار من ديارهم.

٦- بعد ثلاثة أيام من المذبحة، تَمَّ تسليمُ قرية «دير ياسين» للهاجاناه لاستخدامها مطارًا.

٧- أرْسَلَ عددٌ من الأساتذة اليهود برسائلَ إلى «بن جوريون» يدعونه فيها إلى ترك منطقة «دير ياسين» خالية من المُسْتَوْطَنَات، ولكنّ «بن جوريون» لم يردَّ على رسائلهم. وخلالَ شهور اسْتَقْبَلَتْ «ديرياسين» المهاجرين من يهودِ شرق أوربّا.

٨- خلالَ عام من المذبحة صَدَحَتِ الموسيقي على أرض القرية العربية وأُقِيمَتِ الاحتفالاتُ التي حَضَرَها مئاتُ الضيوف من صُحُفِيِّين وأعضاء الحكومة الإسرائيلية وعُمْدَة القدس وحاخامات اليهود*. وَبَعَثَ الرئيسُ الإسرائيليُّ «حاييم وإيزمان» برقية تهنئة لافتتاح مُسْتَوْطَنَة «جيفات شاؤول» في قرية «ديرياسين» مع مرور الزمن تَوَسَّعَت القدسُ إلى أن ضَمَّتْ أرضَ «دير ياسين» إليها لِتُصْبِحَ ضاحية من ضواحي القدس.

وأيّا ما كان الأمرُ، فالثابتُ أنّ مذبحة «دير ياسين» والمذابحَ الأخرى المُمَاثِلة لم تكن مُجَرَّدَ حوادثَ فرديّة أو استثنائيّة طائشة، بل كانت جزءًا أصيلاً من نَمَطٍ ثابتٍ ومتواتر ومُتَّصِلٍ، يَعْكِسُ الرؤية الصهيونيّة للواقع والتأريخ الآخر؛ حيث يُصْبِح العنفُ بأشكاله المختلفة وسيلة لإعادة صِيَاغَةِ الشخصية اليهودية وتنقيتها من السِّمَات الطفيليّة والهامشيّة* التي تَرَسَّخَتْ لديها نتجية القيام بدور الجماعة الوظيفيّة*. كما أنه أداةُ تفريغ فلسطينَ من سكانها وإحلالِ المستوطنين الصهاينةِ محلّهم وتثبيتِ دعائم الدولةِ الصهيونيةِ وفرْض واقع جديدٍ في فلسطينَ يَسْتَبْعِد العناصرَ الأخرى غيرَ اليهودية المكوِّنة لهويتها وتأريخها.

وقد عبَّرت الدولةُ الصهيونية عن فخرها بمذبحة «دير ياسين»، بعد ٣٢ عامًا من وقوعها؛ حيث قَرَّرَتْ إطلاقَ أسماء المُنَظَّمَات الصهيونيةِ: الإرجون، وإتسل، والبالماخ، والهاجاناه على شوارع المستوطنةِ التي أقيمت على أطلال القريةِ الفلسطينيةِ .

٧- مذبحة ناصر الدين ١٤ أبريل ١٩٤٨م

اشتدَّتْ حِدّةُ القتال في مدينة «طبرية» بين العرب والصهاينة، وكان التفوّقُ في الرجال والمُعَدَّات*

في جانب الصهاينة منذ البداية. وجَرَتْ محاولاتٌ لنجدةِ مجاهدي «طبرية» من مدينة «الناصرة» وما جَاوَرَها. وجَاءَتْ أنباءٌ إلى أبناء البلدة عن هذه النجدة وطُلِبَ منهم التنبّهُ وعدمُ فتح النيران عليها. ولكن هذه الأنباءَ تَسَرَّبَتْ إلى العدوّ الصهيونيّ الذي سَيْطَرَ على مداخل مدينةِ «طبرية» فأرْسَلتْ مُنَظَّمَتَا «ليحي» و«الإرجون» في الليلة المذكورة قوةً إلى قرية «ناصر الدين» يرتدي أفرادُها الملابسَ العربيّة، فاعتقدَ الأهالي أنّهم أفرادُ النجدة القادمة إلى «طبرية» فاستقبلوهم بالترحاب، وعندما دخل الصهاينةُ القرية فتحوا نيرانَ أسلحتهم على مستقبليهم، ولم يَنْجُ من المذبحة سوى أربعين عربيًا استطاعوا الفرارَ إلى قريةٍ مجاورةٍ. وقد دَمَّرَ الصهاينةُ بعد هذه المذبحة جميعَ منازل «ناصر الدين».

٨- مذبحة تل لتفنسكي ١٦ أبريل ١٩٤٨م

قامت عِصَابَةٌ يهوديّةٌ بمهاجمة مُعَسْكَرٍ سابقٍ للجيش البريطاني يعيش فيه العربُ وأسْفَرَ الهجومُ عن استشهادِ ٩٠ عربيًّا .

٩- مذبحة حيفا ٢٢ أبريل ١٩٤٨م

هَاجَمَ المُسْتَوْطِنُون الصهاينةُ مدينة «حيفا» في مُنْتَصَف الليل واحتلّوها وقتلوا عددًا كبيرًا من أهلها، فهَرَعَ العربُ الفلسطينيون العُزَّلُ الباقون للهرب عن طريق مرفأ المدينة، فتَبعَهم اليهودُ وأطلقوا عليهم النيرانَ، وكانت حصيلةُ هذه المذبحة أكثرَ من ١٥٠ قتيلاً و ٤٠ جريحا.

١٠- مذبحة بيت داراس ٢١ مايو ١٩٤٨م

حَاصَرَ الإرهابيّون الصهاينةُ قرية «بيت داراس» التي تَقَعُ شمالَ شرق مدينة «غزة» ودَعَوْا المواطنين الفلسطينيين إلى مُغَادَرَة القريةِ بسلام من الجانب الجنوبيّ، وسرعانَ ما حَصَدَتْ نيرانُ الإرهابيين سكانَ القرية العُزَّل وبينهم نساءٌ وأطفالٌ وشيوخٌ بينما كانوا يغادرون القرية وفقَ تعليمات قوّةِ الحصار. وكانت نفسُ القرية قد تَعَرَّضَتْ لأكثرَ من هجومٍ صهيونيّ خلالَ شهري مارس وأبريل عام ١٩٤٨م. وبعد أن نَسَفَ الإرهابيون الصهاينةُ منازلَ القرية وأحرقوا حقولها أقاموا مكانَها مُسْتَعْمَرَتَيْن .

١١- مذبحة اللد أوائل يوليو ١٩٤٨م

تُعَدُّ عمليةُ «اللد» أشهرَ مذبحةٍ قامت بها قواتُ «البالماخ». وقد تَمَّت العمليةُ المعروفةُ بحملة «داني» لإخماد ثورةٍ عربيّةٍ قامت في يوليو عام ١٩٤٨م ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ. فقد صَدَرَتْ تعليماتٌ بإطلاق الرصاص على أيّ شخص يُشاهَد في الشارع، وفَتَحَ جنودُ «البالماخ» نيرانَ مدافعهم الثقيلة على جميع المُشَاة، وأخمدوا بوحشيّة هذا العصيانَ خلالَ ساعاتٍ قليلةٍ، وأخذوا ينتقلون من منزل

إلى آخر، يُطْلِقُون النارَ على أيّ هدفٍ متحركٍ. ولقي ٢٥٠ عربيًا مصرعهم نتيجة ذلك (وفقًا لتقرير قائد اللواء). وذكر «كينيث بيلبي» مُرَاسِلُ جريدة «الهيرالد تريبيون» الذي دَخَلَ اللدَّ يوم ١٢ يوليو، أن «موشي دايان» قاد طابورًا من سيارات الجيب في المدينة كان يُقِلُّ عددًا من الجنود المُسَلَّحِين بالبنادق والرشّاشات من طراز ستين والمدافع الرشّاشة التي تَتَوَهَّجُ نيرانُها. وسار طابورُ عَرَبَات الجيب في الشوارع الرئيسة، يطلقُ النيرانَ على كلّ شيء يتحرك، ولقد تناثرت جثثُ العرب، رجالاً ونساء، بل جثث الأطفال في الشوارع في أعقاب هذا الهجوم. وعندما تَمَّ الاستيلاءُ على «رام الله» أُلقِيَ القبضُ، في اليوم التالي، على جميع من بَلَغُوا سِنَّ التجنيد من العرب، وأُوْدِعُوا مُعْتَقَلاتٍ خاصَّةً. ومرَّةً أخرى تَجَوَّلت العربات في المدينتين، وأخَذَتْ تُعْلِن، من خلال مُكَبِّرَات الصوت، التحذيراتِ المعتادةَ. وفي يوم ١٣ يوليو أصْدَرَتْ مكبراتُ الصوت أوامرَ نهائيّة، حدَّدت فيها أسماءَ جسور معيَّنة طريقًا للخروج .

١٢- مذبحة الدوايمة ٢٩ أكتوبر ١٩٤٨م

هَجَمَتِ الكتيبةُ ٨٩ التابعةُ لمنظمة «ليحي» وبقيادة «موشيه دايان» قرية «الدوايمة» الواقعة غربَ مدينة «الخليل». ففي مُنْتَصَف الليل حَاصَرَتِ المُصَفَّحَاتُ* الصهيونيةُ القريةَ من الجهات كافَّةً عدا الجانب الشرقيّ لدفع سكانها إلى مُغَادَرَةِ القريةِ إذ تشبَّثوا بالبقاء فيها رغمَ خطورة الأوضاع في أعقاب تداعي* الموقف الدفاعيّ للعرب في المنطقة.

وقام المُسْتَوْطِنُون الصهاينةُ بتفتيش المنازل واحدًا واحدًا وقتلوا كلَّ من وجدوه بها رجلاً أو امرأة أو طفلاً، كما نَسَفوا منزلَ مختار القريةَ*. إلا أن أكثرَ الوقائع فظاعةً كان قتلُ ٧٥ شيخا مُسِنا لجَأوُا إلى مسجد القرية في صباح اليوم التالي وإبادة ٣٥ عائلة فلسطينية كانت في إحدى المغارات ثَمَّ حَصَدُهم بنيران المدافع الرشّاشة. وبينما تَسَلَّل بعضُ الأهالي لمنازلهم ثانيةً للنزول بالطعام والملابس جَرَىٰ اصطيادُهم وإبادتُهم ونسفُ عددٍ من البيوت بمن فيها.

وقد حَرَصَ الصهاينةُ على جمع الجثث وإلقائها في بئر القرية لإخفاء بَشَاعة المجزرة التي لم يَتِمَّ الكشفُ عن تفاصيل وقائعِها إلا عندما نَشَرَتْ صحيفةُ «حداشوت» الإسرائيلية تحقيقًا عنها. ويُلاحَظ أن الصهاينة أقاموا على أرض القرية المنكوبة مُسْتَعْمَرَةَ «أما تزياه» .

١٣- مذبحة يازور ديسمبر ١٩٤٨م

كثَّفَ* الصهاينةُ اعتداءاتِهم المتكررةَ على قرية «يازور» الواقعة بمدخل مدينة «يافا». إذ تَكَرَّرَ إطلاقُ حُرَّاس القوافل الإسرائيلية على طريق القدس/ تل أبيب للنيران وإلقائهم القنابلَ على القرية

وسكانها. وعندما اصطدمت سيارةُ حراسة تُقِلُّ سبعة من الصهاينة بلغْمٍ قربَ «يازور» لقِيَ رُكّابُها مصرعَهم، وجَّه ضابطُ عمليات منظمة «الهاجاناه» «ييجال يادين» أمرًا لقائد «البالماخ» «ييجال آلون» بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية، وبأسرع وقت وفي صورةِ إزعاج مستمر للقرية تَتَضَمَّنُ نسفَ وإحراقَ المنازل واغتيالَ سكانها. وبناءً عليه نَظَّمَتْ وحداتُ «البالماخ» ولواءُ «جبعاتي» مجموعة عمليّات إرهابيّة ضدّ منازل وحافلات يستقلّها فلسطينيون عُزّل. وتَوَّجت العصاباتُ الصهيونيّةُ نشاطَهَا الإرهابيَّ في ٢٢ يناير ١٩٤٩م، أي بعد ٣٠ يومًا من انفجار اللّغم في الدوريّة الإسرائيلية، فتَوَلّى «إسحق رابين» (وكان آنذاك ضابطَ عمليات «البالماخ») قيادة هُجُومٍ مُفاجِئ وشامل على القرية عند الفجر، ونَسَفَت القواتُ المُهَاجِمَةُ العديد من المنازل والمباني في القرية وبينها مصنع للثلج. وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل ١٥ فلسطينيًا من سكان القرية لقِيَ مُعْظَمُهم حتفه وهم في فراش النوم.

وتَكْمُنُ أهميّةُ ذكر مذبحة «يازور» في أنّ العديدَ من الشخصيات «المعتدلة» بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه الجريمة. كما أنّ توقيتَ تنفيذ المذبحة يأتي عَقِبَ قيام الدولة. ولم يُكْشَفْ عن تفاصيل هذه المذبحة إلاّ عامَ ١٩٨١م.

١٤- مذبحة شرفات ٧ فبراير ١٩٥١م

في الثالثة من صبيحة يوم ٧ فبراير عام ١٩٥١م وَصَلَتْ ثلاثُ سيّارات من القدس المُحْتَلّة إلى نقطة تبعد ثلاثة كيلومترات ونصف عن خطّ السكة الحديدية جنوبَ غرب المدينة وتَوَقَّفَتْ حيث تَرَجَّل منها نحوُ ثلاثين جنديًا واجتازوا خطَّ الهدنة* وتَسَلَّقُوا* المرتفع باتجاه قرية «شرفات» الواقعة في الضفة الغربية والمُطِلّة على القدس بمسافةٍ تَبْعُدُ نحوَ خمسة كيلومترات.

وقطعَ هؤلاء الجنودُ الأسلاكَ الشائكة المحيطة بالمدينة وأحَاطُوا ببيت مختار القرية، ووَضَعُوا عُبُوَّات ناسفة* في جدرانه وجدران البيت المُحَاذِي له، ونَسَفُوهما على من فيهما، وانسحبوا تحتَ حماية نيران زملائهم التي انصبّت بغزارة على القرية وأهلها. وأسْفَرَتْ هذه المذبحة عن سقوط عَشَرَة من القتلى: شيخين وثلاثِ نساء وخمسةِ أطفال، كما أسْفَرَتْ عن وقوع ثمانية جرحى جميعُهم من النساء والأطفال.

١٥- مذبحة بيت لحم ٢٦ يناير ١٩٥٢م

في ليلة ذكرى ميلاد السيّد المسيح عليه السلام لدى الطوائف المسيحيّة الشرقيّة، ٢٦ يناير ١٩٥٢م، قامت دوريّةٌ إسرائيلية بنسفِ منزلٍ قريبٍ من قرية «بيت جالا» على بُعد كيلو مترين من مدينة «بيت لحم» وأدّى ذلك إلى استشهاد ربّ المنزل وزوجته.

وفي الوقت نفسه اقتربت دوريّةٌ أخرى من منزل آخر، على بُعد كيلو متر واحد شماليَّ بيت لحم قريبًا من دير الروم الأرثوذكسي في «مار إلياس» وأطلقتْ هذه الدوريّةُ النارَ على المنزل وقذفته بالقنابل اليدوية ؛ فقُتِلَ صاحبُه وزوجتُه وطفلان من أطفالهما وجُرِحَ طفلان آخران.

ودَخَلتْ دوريّةٌ ثالثةٌ في الليلة نفسها الأرضَ المنزوعة من السِّلاح في قطاع «اللطرون» واجتازت ثلاثة كيلو مترات إلى أن أصبَحَتْ على بُعد خمسمائة متر من قرية «عمواس» فأمطرتها بنيران غزيرة.

١٦- مذبحة قرية فلمة ٢٩ يناير ١٩٥٣م

هَاجَمَتْ سريّةٌ مُعَزَّزَةٌ قوتُها بين ١٢٠ إلى ١٣٠ جنديًا قرية «فلمة» العربية الواقعة في الضفة الغربية، ودَكّتِ القرية بمدافع الهَاوُن؛ حيث هَدَمَتْ بعضَ بيوتها وخَلّفتْ تسعة شهداء بين العرب فضلاً عن أكثر من عشرين جريحًا .

١٧- مذبحة مخيم البريج ٢٨ أغسطس ١٩٥٣م

هَاجَمَتْ قواتُ الجيش الإسرائيليّ مخيم «البريج» الفلسطيني في قطاع «غزة» ؛ حيث قتلت ٢٠ شهيدًا وجُرح ٦٢ آخرون .

١٨- مذبحة قلقيلية ١٠ أكتوبر ١٩٥٣م

حَرَصَ أهلُ «قلقيلية» على جمع المال وشراء أسلحة وذخيرة للجهاد ضدَّ الصهاينة، ولم تنقطع الاشتباكاتُ بينهم وبين عدوّهم. ولم يَكْتُمِ الإسرائيليون غضبَهم من فشلهم في كسر شوكة سكان القرية، حتى أن «موشيه دايان» قال في اجتماع له على الحدود إثرَ اشتباك في يونيه ١٩٥٣م: «سأخرِث قلقيلية حرثًا».

وفي الساعة التاسعة من مساء العاشر من أكتوبر عام ١٩٥٣م تَسَلَّلتْ إلى «قلقيلية» مفرزةٌ من الجيش الإسرائيلي تُقدَّر بكتيبة مشاة وكتيبة مُدَرَّعات تُسَانِدُهما كتيبتا مدفعيةِ ميدان ونحوُ عَشْر طائرات مُقاتِلة ؛ فقطَعَتْ أسلاكَ الهاتف ولغَمَتْ بعضَ الطرق في الوقت الذي احتَشَدَتْ فيه قوّةٌ كبيرةٌ في المُستَعْمَرَات القريبة تَحَرَّكَتْ في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه وهَاجَمَتْ «قلقيلية» من ثلاثة اتجاهات مع تركيز الجهد الأساسيّ بقوة كتيبة المُدَرَّعَات على مركز الشرطة فيها. لكن الحرسَ الوطنيَّ تَصَدَّىٰ بالتعاون مع سكان القرية لهذا الهجوم وصَمَدُوا بقوة ممّا أدَّى إلى إحباطه وتراجُع المُدَرَّعَات.

وبعد ساعة عَاوَدَ المعتدون الهجومَ بكتيبة المُشَاة تحت حماية المُدَرَّعَات بعد أن مَهَّدُوا للهجوم بنيران المدفعية الميدانيّة، وفشِلَ هذا الهجومُ أيضًا وتَرَاجَعَ العدوُّ بعد أن تَكَبَّدَ بعضَ الخسائر.

شَعَرَ سكانُ القرية أنّ هدف العدوان هو مركزُ الشرطة فزادوا قوّتَهم فيه وحَشَدُوا عددًا كبيرًا من

الأهالي المدافعين هناك. ولكنّهم تَكَبَّدُوا خسائرَ كبيرةً عندما عَاوَدَتِ المدفعيةُ القصفَ واشتركت الطائراتُ في قصف القرية ومركز الشرطة بالقنابل. وفي الوقت نفسه هَاجَمَ العدوُّ الإسرائيليُّ مرةً ثالثة بقوة وتَمَكَّن من احتلال مركز الشرطة ثم تَابَعَ تقدُّمَه عبرَ الشوارع مُطلِقًا النارَ على المنازل وعلى كل من يُصادِفُه. وقد استُشْهد قرابةُ سبعين من السكان ومن أهل القرى المُجَاورَة الذين هَبُّوا للنجدة، هذا فضلاً عن الخسائر المادية الكبيرة.

وكانت وحدةٌ من الجيش الأردنيّ مُتَمَرْكِزَةً في منطقة قريبة من «قلقيلية» فتَحَرَّكَتْ للمساعدة في التصدّي للعدوان؛ غيرَ أنها اصطدمت بالألغام التي زَرَعَها الصهاينةُ فتَكَبَّدَتْ بعضَ الخسائر، وقد قَصَفَتِ المدفعيةُ الأردنيةُ العدوَّ وكَبَّدَتْه* بعضَ الخسائر، ثم انسَحَبَ الإسرائيليون بعد أن عَاثُوا بالقرية فسادًا وتدميرًا .

١٩- مذبحة قبية ١٥ أكتوبر ١٩٥٣م

في مُنْتَصَف شهر أكتوبر عام ١٩٥٣م أغَارَ جنودُ الفرقة ١٠١ التابعة للجيش الإسرائيليّ بقيادة «أرييل شارون» على القريةِ التي تقع شمالَ مدينة القدس في المنطقة الحدودية تحت إدارة الأردن. وطوَّقَ ٦٠٠ جنديّ إسرائيليّ القرية تَمامًا وقصَفُوها بصورة مُرَكَّزة ودون تمييز، ثم دَخَلَتْ قوّةٌ منهم إليها وهي تُطْلِقُ النارَ عَشْوَائيًّا بعدَ أن تَمَكَّنَتْ من التخلص من المُقاوَمَة التي أبْدَتْها قوّةُ الحرس الوطنيّ المحدودة في القرية. وبينما كان يجري حصدُ المدنيين العُزَّل بالرصاص قامت عناصرُ أخرى بتلغيم العديد من منازل الفلسطينيين وتدميرها على من فيها.

وقد تَذَرَّعَتْ إسرائيلُ في البداية بأنّ الهجومَ يأتي انتقامًا لمقتل امرأة يهوديّة وطفلها. كما مَارَسَت الخداعَ بادّعائها أن مُرْتَكِبي المذبحةِ هم من المُسْتَوْطِنِين الصهاينةِ وليسوا قوّاتٍ نظاميّة. إلا أن مجلسَ الأمن الذي أدان الجرمَ الصهيونيَّ قد اعْتَبَرَه عملاً تَمّ تدبيرُه منذ زمن طويل، وهو الأمر الذي أيَّدَته اعترافاتُ بعض القيادات الصهيونيّة/ الإسرائيليّة فيما بعدُ.

وأسْفَرَتِ المذبحةُ عن سقوط ٦٩ قتيلاً بينهم نساءٌ وأطفالٌ وشيوخٌ، ونُسِفَ ٤١ منزلاً ومسجدٌ وخَزَّانُ مياه القرية في حين أُبيدَتْ أُسَرٌ بكاملها، مثلُ عائلة عبد المُنْعِم قادوس المُكَوَّنَة من ١٢ فردًا. وتُعَدُّ مذبحةُ «قبية» علامةً شهيرةً في انتهاك إسرائيلَ للقانون والأعراف الدوليّة فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجًا سافرًا لسياستها الهادفة إلى مُطَارَدَة الشعب الفلسطينيّ واقتلاعه بتفريغ مناطق الهدنة عام ١٩٤٨م. وقد قام فدائيّان عربيّان يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٨٧م (في الذكرى الحادية والثلاثين لمذبحة «قبية») بعمليّة فدائيّة* سَمَّيَاهَا «عملية قبية». وقد استُشْهِدَ الفدائيّان بعد أن قَتَلَ أحدهما ستّة إسرائيليين .

٢٠- مذبحة «مخالين» ٢٩ مارس ١٩٥٤م

قامت قوّةٌ من الجيش الإسرائيليّ مُؤَلّفة من ٣٠٠ جنديّ باجتياز خطّ الهدنة وتوَغّلتْ في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وَصَلتْ إلى قرية «مخالين» بالقرب من «بيت لحم» حيث ألقتْ كميّة من القنابل على تَجَمُّعَاتِ السكان وَبثّتِ الألغامَ في بيوت القرية وفي المسجد الجامع . وأسفرَتْ هذه المذبحةُ عن استشهاد أحَدَ عَشَرَ عربيًّا وجُرِحَ أرْبَعَة عَشَرَ آخرون .

٢١- مذبحة «دير أيوب» ٢ نوفمبر ١٩٥٤م

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خَرَجَ ثلاثةُ أطفال من قرية «يالو» الغربية لجمع الحطب، تَرَاوَحَتْ أعمارُهم بين الثامنة والثانية عَشْرَةَ، وعند وصولهم إلى نقطةٍ قريبةٍ من «دير أيوب» على بُعد نحو أربعمائة متر من خطّ الهدنة فاجَأهُم بعضُ الجنود الإسرائيليين فولّتْ طفلةٌ منهم هاربةً فأطْلَقَ الجنودُ النارَ عليها وأصابوها في فخِذِها؛ لكنّها ظلّتْ تجري إلى أن وَصَلتْ إلى قريتها وأخْبَرَتْ أهلها.

أسْرَعَ أهلُ الطفلين المُتَبَقّيَيْن إلى المكان المذكور فشَاهَدُوا نحوَ اثنيْ عَشَرَ جنديًا إسرائيليًا يسوقون أمامَهم الطفلين باتجاه بطن الوادي في الجنوب ؛ حيثُ أوقفوهما وأطلقوا عليهما النارَ ثم اختَفَوْا وراءَ خطّ الهدنة. وقد تُوُفّيَ أحدُ الطفلين لِتَوِّه، بينما ماتَتِ الطفلةُ الأخرى صبيحة اليوم التالي في المستشفى الذي نُقِلتْ إليه.

٢٢- مذبحة «غزة» الأولى ٢ فبراير ١٩٥٥م

بسبب طبيعة إسرائيل كدولةٍ وظيفيّةٍ حَرَصَ الاستعمارُ على استغلال وجودها لتصفية العداء المصريّ لسلسلة الأحلاف الاستعماريّة، ومنها حَلفُ بغدادَ الذي كان يَتَزَعَّم الدعوةَ إليه وتنفيذه «نوري السعيد» رئيس الوزراء العراقيُّ آنذاك. ومع وضوح الموقف المصريّ صعّدت إسرائيلُ موقِفَها العدوانيّ تجاهَ مصرَ وعَمَدَتْ إلى تنفيذ مذبحة في قطاع «غزة» الذي كانت الإدارةُ المصريةُ تُشْرِفُ عليه.

وبدايةً حاولتْ إدارةُ الصهاينة توجيهَ تهديدٍ صريح لمصرَ بإمكان استعمالها سياسةَ القوّة لتأديب الثورة المصريّة ورَدْعِها. ومن ثَمَّ، ففي الوقت الذي كان فيه «صلاح سالم» عضوُ مجلس قيادة الثورة المصريّ يجتمع مع «نوري السعيد» رئيس وزراء العراق في ١٤ من أغسطس ١٩٥٤م لإقناعه بالعدول عن ربط العراق بالأحلاف الاستعماريّة ودعوتِه إلى توقيع معاهدة دفاع مشتركٍ مع مصرَ، كانت قوةٌ من الجيش الإسرائيليّ تَتَسَلّلُ عَبْرَ خطّ الهدنة وتَتَوَغّلُ نحوَ ثلاثة كيلومترات داخلَ حدود قطاع «غزة» حتى وَصَلَتْ إلى محطّةِ المياه التي تُزَوّد سكانَ «غزة» بالماء، فقتَلتْ الفنّيَّ المُشْرِفَ على المحطّة وبَثّتِ الألغامَ في مبنى المحطّة وآلاتِ الضخ.

ومع رفض الإدارة المصرية هذه التهديداتِ ومع استمرارها في الاتّجاه الذي اختارتْه لنفسها، قامت قواتُ الصهاينة بتنفيذ مذبحة حقيقيّة في القطاع .

ففي الساعة الثامنة والنصف من مساء ٢٨ فبراير عام ١٩٥٥م اجتازت عدةُ فصائلَ من القوّاتِ الإسرائيليّة خطَّ الهدنة، وتَقدَّمَتْ داخلَ قطاع «غزة» إلى مسافةٍ تزيد عن ثلاثة كيلو مترات، ثم بَدأ كلُّ فصيلٍ من هذه القوات يُنَفِّذُ المُهمَّة الموكولة إليه. فاتَّجَهَ فصيلٌ لمُدَاهَمَة محطّة المياه ونَسْفِها، ثُمَّ تَوجَّه إلى بيت مدير محطّة سكّةِ حديدِ «غزّة» واسْتَعَدَّ فصيلٌ آخَرُ لمُهَاجَمَة المَوَاقِع المصريّة بالرشّاشات ومَدَافِع الهَاوُن والقنابل اليدويّة، ورَابَطَ فصيلٌ ثالثٌ في الطريق لبثّ الألغام فيه ومَنَعَ وصولَ النّجدة. ونَجَحَ المُخَطَّط إلى حدٍّ كبير.

وانْفَجَرَتْ محطّةُ المياه، ورَافَقَ ذلك الانفجارَ انهمارُ الرَّصَاص الإسرائيليّ على مُعَسْكَر الجيش المصريّ القريب من المحطّة. وطلبَ قائدُ المعسكر النجدةَ من أقرب مَوْقِع عسكريّ فأسْرَعَتِ السياراتُ الناقلةُ للجنود لتلبيةِ النداء لكنّها وَقَعَتْ في الكمين الذي أعَدَّه الإسرائيليون في الطريق وارْتَفَعَ إجماليُّ* عددِ ضحايا هذه المذبحةِ ٣٩ قتيلاً و ٣٣ جريحًا.

٢٣- مذبحة «غزة» الثانية ٤ و ٥ أبريل ١٩٥٦م

قَصَفَتْ مدافعُ الجيش الإسرائيلي مدينة «غزّة» حيث استُشْهِدَ ٥٦ عربيًا وجُرِحَ ١٠٣ آخرون.

٢٤- مذبحة «خان يونس» الأولى (٣٠ مايو ١٩٥٥م) والثانية ١ سبتمبر ١٩٥٥م

وَقَعَتْ بهذه المدينة مذبحتان في عام واحد؛ حيثُ شَنَّ الصهاينةُ عليها غارتين وَقَعَتْ أولاهما في فجر يوم ٣٠ من شهر مايو، وثانيتُهما في الثانية من بعد مُنْتَصَف ليلة الفاتح من سبتمبر في عام ١٩٥٥م. ورَاحَ ضحيّة العدوان الأوّل عشرون شهيدًا وجُرِحَ عشرون آخرون. أمّا العدوانُ الثاني فشَارَكَتْ فيه توليفةٌ* من الأسلحة شَمِلَتْ سلاحَ المدفعيّة والدبابات والمُجَنْزَرَات المُصَفَّحَة ووحدات مُشَاة وهَنْدَسَة. وكانت حصيلةُ هذه المذبحة الثانية استشهادَ ستة وأربعين عربيًا وجَرْحَ خمسين آخرين.

٢٥- مذبحة «الرهوة» ١١-١٢ سبتمبر ١٩٥٦م

قامَتْ قوّاتُ الاحتلال الصهيونيُّ في اليومين بمُهَاجَمَة مركز شرطةٍ ومدرسةٍ في قرية «الرهوة» حيث تَمَّ قتلُ خَمْسَة عَشَرَ شهيدًا عربيًّا ونُسِفَتِ المدرسةُ.

٢٦- مذبحة «كفر قاسم» ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م

في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م وعشيّة العدوان الثلاثيّ على مصر تَوَلَّتْ قوّةُ حرس حدود تابعة

للجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التَّجَوُّل على المنطقة التي تَقَعُ بها قرية «كفر قاسم» في المُثلث على الحدود مع الأردن. وقدتَلَقَّىٰ قائدُ القوة، ويُدعى «الراند شمونيل ملنيكي» الأوامرَ بتقديم موعدِ حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساءً، وهو الأمر الذي كان يستحيل أن يعلم به مواطنو القرية ، وبخاصّة أولئك الذين يَعْمَلون خارجَها، وهو ما نَبَّهَ إليه مختارُ القرية قائدَ القوة الإسرائيلية. كما تَلَقَّىٰ «ملنيكي» توجيهاتٍ واضحة من العقيد «شدمي» بقتل العائدين إلى القرية دون علم بتقديم ساعة حظر التجول. «من الأفضل أن يكون هناك قتلىٰ .. لا نريد اعتقالاتٍ .. دَعْنَا مِنَ العواطف..».

وكان أوّلُ الضحايا أربعة عُمَّال حَيَّوْا الجنودَ الإسرائيليين بكلمة «شالوم» فردُّوا إليهم التحيّة بحصد ثلاثةٍ منهم بينما نجا الفلسطينيُّ الرابعُ حين تَوَهَّمُوا أنّه لَقِيَ مصرعَه هو الآخر. كما قتلوا ١٢ امرأةً كنَّ عائداتٍ من جمع الزيتون. وذلك بعد أن استشار المُلازمُ «جبرائيل دهان» القيادةَ باللاسِلكِيّ. وعلى مدى ساعة ونصف سقط ٤٩ قتيلاً و ١٣ جريحًا هم ضحايا مذبحة «كفر قاسم». ويُلاحظ أن الجنود الإسرائيليين سَلَبُوا الضحايا نقودَهم وساعاتِ اليد .

وقد التَزَمَتِ السلطاتُ الإسرائيلية الصمتَ إزاءَ المذبحة لمدة أسبوعين كاملين إلى أن اضْطُرَّتْ إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الوزراء عَقِبَ تسرُّبِ أنبائها إلى الصُّحُف ووَسَائل الإعلام. وللتغطية على الجريمة أُجْرَتْ محاكمة لثلاثة عَشَرَ مُتَّهَمًا على رأسهم العقيد «شدمي». وأسْفَرَتِ المحاكمةُ عن تبرئة «شدمي» حيث شَهِدَ لصالحه «موشي دايان» و«حاييم هيرتزوج» بينما عُوقِبَ «ملنيكي» بالسجن ١٧ عامًا وعُوقِبَ «دهان» و «شالوم عوفر» بالسجن ١٥ عامًا في حين حُكِمَ على خمسةٍ آخرين بأحكام تَصِلُ إلى سبع سنوات. وحظِيَ البَاقُونَ بالبراءة.

وإذا كانت مُحَاكَمَة المُتَّهَمِين الصَّهَاينَة قد بَدَأَتْ بعد عامين كاملين من المذبحة، فإنه قبلَ عام ١٩٦٠م كانوا جميعًا خارجَ السجن يَتَمَتَّعُونَ بالحرِّيَّة، حيث أصْدَرَ «إسحق بن تسفي» رئيسُ الدولة عفوًا عنهم. والطريفُ أن المُلازمَ «دهان» قد سَارَعَ بالرحيل إلى «فرنسا» مُعْلِنًا سَخَطه على التمييز بين اليهود «السفارد» و«الإشكناز» في الأحكام القضائية التي صَدَرَتْ على مُرْتَكِبي مذبحة «كفر قاسم».

٢٧- مذبحة «خان يونس» الثالثة ٣ نوفمبر ١٩٥٦م

وقعت المذبحة أثناءَ احتلال الجيش الصهيونيّ بلدةَ «خان يونس» حيث تَمَّ فتحُ النار على سكان البلد، ومُخَيَّم اللاجئين المُجَاور لها؛ حيث كان عددُ الشهداء المدنيين من القرية والمُخَيَّم معًا

٢٧٥ شهيدًا.

٢٨- مذبحة «السموع» ١٣ نوفمبر ١٩٦٦م

شَنَّتْ قوّاتُ المِظلّيّين الإسرائيليّة هجومًا على قرية «السموع» في منطقة جبال الخليل. وقد خَطّط للعمليّة «روفائيل إيتان» واشترك في تنفيذها لواءُ دبّابات ولواءُ مُشَاة تُعَزّزهما المدفعيةُ وسلاحُ الجوّ الإسرائيليّ.

بعد قصْفِ القرية التي كانت خاضعة للإدارة الأردنية تَسَلّلتِ القواتُ الإسرائيليةُ إليها ونَسَفَتْ ١٢٥ منزلاً وبناية بينها المدرسة والعيادةُ الطبّية والمسجدُ، وذلك رغم المُقاوَمَة الباسلة التي أبداها سكانُ القرية والحاميةُ الأردنيّةُ صغيرةُ العدد .

وقد أدان مجلسُ الأمن الدوليُّ بقرار رقم ٢٨٨ في ديسمبر من نفس العام المذبحة الإسرائيلية، ورَفَضَ تذرُّعَ إسرائيلَ الواهي بانفجار لغْمَيْن في أكتوبر ١٩٦٦م جنوبيَّ الخليل كمُبَرِّر للعدوان .

أدّت المذبحة إلى قتل ١٨ وجَرْح ١٣٠ جميعُهم من المدنيين بينهم نساءٌ وأطفالٌ وشيوخٌ. وتُعَدّ المذبحة نموذجًا للإرهاب المُؤَسَّسِي المُنَظّم الذي تُمَارسُه الدولةُ الصهيونيّةُ .

٢٩- مذبحة مصنع «أبي زعبل» ١٢ فبراير ١٩٧٠م

بينما كانت حربُ الاستنزاف بين مصرَ وإسرائيلَ محصورةً في حدود المَوَاقع العسكريّة في جبهة القتال وحسب، أغَارَتِ الطائراتُ الإسرائيليةُ القاذفةُ على مصنع «أبي زعبل» وهو مصنعٌ تَمْلِكه الشركةُ الأهليّةُ للصناعات المعدنيّة. وذلك صبيحة يوم ١٢ من فبراير عام ١٩٧٠م؛ حيث كان المصنعُ يعمل بطاقة ١٣٠٠ عاملٍ صباحًا. وقد أسْفَرَتْ هذه الغارةُ عن استشهاد سبعين عاملاً وإصابةِ ٦٩ آخرين، إضافة إلى حَرْق المصنع .

٣٠- مذبحة «بحر البقر» ٨ أبريل ١٩٧٠م

وقعت هـذه المذبحة أيضًا بتأثير وجع حربِ الاستنزاف من قلب إسرائيلَ؛ حيث قامت الطائراتُ الإسرائيليةُ القاذفةُ في الثامن من أبريل عام ١٩٧٠م بالهجوم على مدرسةٍ صغيرةٍ لأطفال الفلاحين في قرية «بحر البقر» إحدى القرى التي تَقَعُ على أطراف مُحَافظة الشرقيّة، ودَكّتْها بالقذائف لمدةٍ زادت عن عَشْر دقائقَ مُتَوَاصِلةٍ ورَاحَ ضحيّتَها من الأطفال الأبرياء تِسْعَة عَشَرَ طفلاً وجُرِحَ أكثرُ من ستين آخرين. وجديرٌ بالذكر أنّ القرية كانت خاوية من أية أهداف عسكرية .

٣١- مذبحة «صيدا» ١٦ يونيو ١٩٨٢م

وقعت إبّانَ العدوان الإسرائيلي على لبنان حين أجْرَتْ قواتُ الاحتلال الإسرائيليّ في لبنان عملية

قتلٍ جَمَاعِيّ لما لا يَقِلّ عن ٨٠ مدنيًا ممن كانوا مُخْتَبِئِيْن في بعض مَلاجِئ المدينة.

٣٢- مذبحة «صبرا وشاتيلا» ١٨-١٩ سبتمبر ١٩٨٢م

وقعت هذه المذبحةُ بمُخَيَّم «صابرا» و«شاتيلا» الفلسطيني بعد دخول القوّات الإسرائيلية الغازية إلى العاصمة اللبنانية بيروت وإحكام سيطرتها على القطاع الغربيّ منها. وكان دخولُ القوّات الإسرائيلية إلى بيروت في حدّ ذاته بمنزلة انتهاكٍ للاتّفاق الذي رَعَتْه الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيةُ والذي خَرَجَتْ بمقتضاه المُقاوَمَةُ الفلسطينيةُ من المدينة.

وقد هَيَّأتِ القواتُ الإسرائيليةُ الأجواءَ بعنايةٍ لارتكاب مذبحةٍ مُرَوِّعة نفّذها مُقاتِلُو الكتائب اللبنانيّة اليمينية انتقامًا من الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين. وقامَتْ المدفعيةُ والطائراتُ الإسرائيليةُ بقصف «صابرا» و«شاتيلا» – رغمَ خلو المُخَيَّم من السلاح والمُسَلّحين – وأحْكَمَتْ حصارَ مداخل المُخَيَّم الذي كان خاليًا من الأسلحة تمامًا ولا يشغله سوى اللاجئين الفلسطينيين والمدنيين اللبنانيين العُزَّل. وأدخلت هذه القواتُ مُقاتِلي الكتائب المُتَعَطّشِين لسَفْكِ الدماء بعد اغتيال الرئيس اللبنانيّ «بشير الجميل» ([٢٤]). واستمرّ تنفيذُ المذبحة على مدى أكثر من يومٍ كاملٍ تحت سمع وبصر القادة والجنود الإسرائيليين. وكانت القواتُ الإسرائيليةُ التي تحيط بالمُخَيَّم تعمل على توفير إمدادات الذخيرة والغذاء لمُقاتِلي الكتائب الذين نفّذوا المذبحة .

وبينما استمرّت المذبحةُ طوَالَ يوم الجمعة وصباحَ يوم السبت أيقظ المُحَرِّر العسكريُّ الإسرائيليُّ «رون بن يشاي» «إرييل شارون» وزيرَ الدفاع في حكومة «مناحم بيجين» ليبلغه بوقوع المذبحة في «صابرا» و«شاتيلا» فأجَابَه «شارون» ببرودٍ «عامٌ سعيدٌ». وفيما بعد وَقَفَ «بيجين» أمام الكنيست ليُعْلِنَ باستهانةٍ «جوييم قتلوا جوييم.. فماذا نفعل؟» أي «غُرَبَاءُ قتلوا غُرَبَاءَ... فماذا نفعل؟».

ولقدِ اعْتَرَفَ تقريرُ لجنة «كاهان» الإسرائيلية بمسؤوليّة «بيجين» وأعضاء حكومتِه وقادةِ جيشِه عن هذه المذبحة استنادًا إلى اتخاذهم قرارَ دخول قوّاتِ الكتائب إلى «صابرا» و «شاتيلا» ومُسَاعَدَتِهم هذه القواتِ على دخول المُخَيَّم. إلا أنّ اللجنة اكتفتْ بتحميل النخبة الصهيونية الإسرائيلية المسؤولية غيرَ

([٢٤]) بشير بيار الجميل المسيحي (١٣٦٧ - ١٤٠٢هـ = ١٩٤٧-١٩٨٢م) في يوليو ١٩٧٦م صار القائد العسكريّ لحزب الكتائب. كان على علاقة وثيقة بإسرائيل التي أمَدّت قوّاته بالأسلحة ودَرّبت أعدادًا من جنوده. واستمرت علاقتُه بإسرائيل ولقاءاتُه معها متمثلة في المسؤولين الكبار مُحَاطَة بالسريّة ، و لم تظهر إلى عام ١٩٨١م، حينما قام الطيرانُ الإسرائيليّ بالدفاع عن مواقع للكتائب، ثمّ الكشف عن لقاءات بشير الجميل مع مسؤولين من إسرائيل أثناء زيارات سِرّيّة قاموا بها للبنان قبيل الغزو الإسرائيلي في يونيو ١٩٨٢م. وقد سعى إلى التخلّص من السيطرة والضغوط الإسرائيلية خاصّة بعد انتخابه رئيسًا للجمهورية اللبنانية في ٢٣/ أغسطس ١٩٨٢م. وفي يوم الثلاثاء ١٤/ من سبتمبر ١٩٨٢م، أثناء تَرَؤُّسه اجتماعًا في مقر حزب الكتائب وقع انفجار هائل أدّى إلى شَقّ المبنى ذي الثلاثة طوابق إلى قسمين ، وإلى قتل بشير من بين من قُتِلَ. وكانت مقررًا أن يتسلّم مقاليد الرئاسة في ٢٣/ سبتمبر ١٩٨٢م .

وقد سارعت إسرائيل إلى الاستفادة من اغتياله، فحَرّكت قوّاتها يوم الأربعاء: ١٥/ سبتمبر ١٩٨٢م نحوَ بيروت الغربيّة بحجّة حفظ الأمن؛ إلاّ أن القوات الإسرائيليّة قامت بحصار مخيمي «صبْرا وشاتيلا» وقَدّمت الحماية والمساعدة للمليشيات المسيحيّة لتنفيذ مجزرة في المخيمين ولاسيّما خلال يومي الخميس والجمعة ١٦ و ١٧/ سبتمبر، أدّت إلى قتل نحو ٢٥٠٠ من المدنيين العزّل، مُعْظَمُهم من الفلسطينيين ونسبة كبيرة منهم من الأطفال والنساء .

المُبَاشِرَة. واكتفت بطلب إقالة «شارون» وعدم التمديد لروفائيل إيتان رئيس الأركان بعد انتهاء مدة خدمته في أبريل ١٩٨٣م.

ولكنّ مسؤولاً بالأسطول الأمريكيّ الذي كان رَاسِيًا قبالة «بيروت» أكّدَ (في تقرير مرفق إلى البنتاجون تَسَرَّبَ إلى خارجها) المسؤولية المباشرةَ للنخبة السياسية والعسكرية الإسرائيلية وتَسَاءَلَ: «إذا لم تكن هذه هي جَرَائِمُ الحرب، فما الذي يكون؟». وللأسف فإنّ هذا التقريرَ لم يَحْظَ باهتمامٍ مُمَاثِلٍ لتقرير لجنة «كاهان» رَغْمَ أن الضابطَ الأمريكيَّ ويُدعَى «وستون بيرنيت» قد سَجَّلَ بدقة وساعة بساعة مُلابَسَاتِ وتفاصيلِ المذبحةِ والاجتماعات المُكَثَّفة التي دَارَتْ بين قادة الكتائب المُنَفِّذِين المُبَاشِرين لها (إيلي حبيقة على نحوٍ خاصٍ) وكبار القادة والسياسيين الإسرائيليين للإعداد لها.

ولقد رَاحَ ضحيّة مذبحة «صابرا» و «شاتيلا» ٢٥٠٠ شهيدًا من الفلسطينيين واللبنانيين العُزَّل بينهم الأطفال والنساء. كما تركت قواتُ الكتائب وراءَها مئاتٍ من أشباه الأحياء. كما تَعَرَّضَتْ بعضُ النساء للاغتصاب المُتَكَرِّر. وتَمَّتِ المذبحةُ في غيبة السِّلاح والمقاتلين عن المُخَيَّم وفي ظلّ الالتزامات الأمريكيّة المُشَدَّدة بحماية الفلسطينيين وحُلفائِهم اللبنانيين من المدنيين العُزَّل بعد خروج المُقاوَمَة من لبنان.

وكانت مذبحة «صابرا» وشاتيلا» تهدف إلى تحقيق هدفين: الأولُ الإجهازُ على معنويّات الفلسطينيين وحُلفائهم اللبنانيين، والثاني المساهمة في تأجيج نيران العَدَاوَات الطائفيّة بين اللبنانيين أنفسهم.

٣٣- مذبحة «عين الحلوة» ١٦ مايو ١٩٨٤م

عشيّة الانسحاب الإسرائيليّ المُنْتَظَر من مدينة «صيدا» في جنوب لبنان، أوْعَزَتْ إسرائيلُ إلى أحد عُمَلائها ويُدْعىٰ «حسين عكر» بالتسلل إلى داخل مُخَيَّم «عين الحلوة» الفلسطينيّ المُجَاور لصيدا، واندفعتْ قواتُ الجيش الإسرائيليّ وراءَه بقوة ١٥٠٠ جنديّ و ١٥٠ آليّة. ورَاحَ المُهَاجِمُونَ ينشرونَ الخرابَ والقتلَ في المُخَيَّم دون تمييزٍ تحتَ الأضواء التي وَفَّرَتْها القنابلُ المُضِيئَة في سماء المُخَيَّم. واسْتَمَرَّ القتلُ والتدميرُ من مُنْتَصف الليل حتى اليوم التالي؛ حيثُ تَصَدَّتِ القواتُ الإسرائيلية لمظاهرةِ احتجاج نَظَّمَها أهالي المُخَيَّم في الصباح. كما فَرَضُوا حصارًا على المُخَيَّم ومَنَعُوا الدخولَ إليه أو الخروجَ منه حتى بالنسبة لسيّارات الإسعاف. وذلك إلى ساعةٍ مُتَأَخِّرَة من نهار ذلك اليوم. وأسْفَرَتْ المذبحةُ عن سقوط ١٥ فلسطينيًا بين قتيل وجريح بينهم شبابٌ وكهولٌ وأطفالٌ ونساءٌ فضلاً عن تدمير ١٤٠ منزلاً واعتقال ١٥٠ بينهم نساءٌ وأطفالٌ وشيوخٌ.

٣٤- مذبحة «سحمر» ٢٠ سبتمبر ١٩٨٤م

دَاهَمَتْ قواتُ الجيش الإسرائيليّ وعميلُها «أنطون لحد» (جيش لبنان الجنوبي) قرية «سحمر» الواقعة بجنوب لبنان. وقامتِ القواتُ بتجميع سكان القرية في الساحة الرئيسية لاستجوابهم بشأن مصرع أربعةٍ من عناصر العميل «لحد» على أيدي المُقاوَمَة الوطنيّة اللبنانية بالقرب من القرية. وأطْلَقَ الجنودُ الإسرائيليون وأتْبَاعُ «لحد» النارَ من رَشَّاشَاتهم على سكان القرية العُزَّل وفقَ أوامر الضابطِ الإسرائيليّ و«لحد» شخصيًا. فسَقَطَ من ساحة القرية على الفور ١٣ قتيلا وأربعون جريحًا. وقد حَاوَلَتْ إسرائيلُ التَّهَرُّبَ من تَبِعَة جُرْمِها بالادّعاء أن قوات «لحد» هي وحدَها المسؤولةُ عن المذبحة، وذلك على غرار مُحَاوَلَتِها في «صابرا» و«شاتيلا». إلا أن العديدَ من الناجين من المذبحة أكّدُوا أن عددًا كبيرًا ممن نَفَّذُوها كانوا يتحدّثون العبرية فيما بينهم، بينما يتحدّثون العربية بصعوبة. كما أن ما حَدَثَ في «سحمر» يُمَثِّلُ نموذجًا لوقائع يوميّة شَهِدَها لبنانُ وجنوبُه أثناءَ غزو القوّات الإسرائيلية في يونيو ١٩٨٢م واحتلاله.

٣٥- مذبحة «حمامات الشط» ١١ أكتوبر ١٩٨٥م

بعد خروج مُنَظَّمَة التحرير الفلسطينية من بيروت بنحو ثلاث سنوات تَعَقَّبَتِ الطائراتُ الإسرائيلية مكاتبَها وقيادتَها التي انتقلت إلى «تونس». وشَنَّتْ هذه الطائراتُ في ١١ أكتوبر ١٩٨٥م غارةً على ضاحية «حمامات الشط» جنوبيَّ العاصمة التونسية، وأسْفَرَتْ عن سقوط ٥٠ شهيدًا ومائة جريح؛ حيث انهمرت القنابلُ والصواريخُ على هذه الضاحية المُكْتَظَّة بالسكان المدنيين التي اخْتَلَطَتْ فيها العائلاتُ الفلسطينية بالعائلات التونسية.

واستمرارًا في نهج الإرهاب الصهيونيّ الإسرائيليّ لم تَتَوَرَّع «تل أبيب» عن إعلان مسؤوليّتها عن هذه الغارة رسميًا مُتَفَاخِرَةً بقدرة سلاحها الجويّ على ضربِ أهدافٍ في المغرب العربيّ.

٣٦- مذبحة «الحرم الإبراهيميّ» ٢٥ فبراير ١٩٩٤م – الجمعة الأخيرة في رمضان

بعد اتفاقات «أوسلو» أصبحت مدينةُ «الخليل» بالضفة الغربيّة موضعَ اهتمام خاصّ على ضوء أجواء التوتّر التي أحاطت بالمُسْتَوْطِنين الإسرائيليين بعد طرح السؤال: هل يجري إخلاءُ المُسْتَوْطَنَات وترحيل المُسْتَوْطِنين فيها في إطار مُفَاوَضَات الحلّ النهائيّ بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟ وتَكْمُنُ هذه الأهمية الخاصّة في أنّ مدينة «الخليل» تُعَدّ مركزًا لبعض المُتَطَرِّفِين من المُسْتَوْطِنِين نظرًا لأهَمِّيَّتِها الدينيّة. وإن جاز القولُ فالخليل ثاني مدينةٍ مُقَدَّسَة في أرض فلسطين بعد القدس الشريف. وفجرَ يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الموافق ٢٥ فبراير عام ١٩٩٤م سَمَحَتِ القواتُ الإسرائيلية التي تقوم

على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المُستَوْطِن اليهوديّ المعروف بتطرُّفه «باروخ جولدشتاين» إلى الحرم الشريف وهو يحمل بندقيّته الآليّة وعددًا من خزانن الذخيرة المُجَهَّزَة. وعلى الفور شَرَعَ «جولدشتاين» في حصد المُصَلّين داخلَ المسجد. وأسْفَرَتِ المذبحةُ عن استشهاد ٦٠ فلسطينيًا فضلاً عن إصابة عَشَرَات آخرين بجراح، وذلك قبلَ أن يتمكّن من تَبَقّى على قيد الحياة من السَّيْطَرَة عليه وقتله

ولقد تَرَدَّدَ أنّ أكثرَ من مُسلّح إسرائيليّ شَارَكَ في المذبحة إلاّ أنّ الرواية التي سادت تذهب إلى انفراد «جولدشتاين» بإطلاق النار داخلَ الحرم الإبراهيميّ. ومع ذلك فإنّ تعاملَ الجنود الإسرائيليين والمُستَوْطِنِين المُسلّحِين مع ردود الفعل التِلْقَائِيّة الفوريّة إزاءَ المذبحة التي تَمَثّلتْ في المُظَاهَرَات الفلسطينية اتّسَمَتْ باستخدام الرصاص الحيّ بشكل مُكَثّف، وفي غضون أقلّ من ٢٤ ساعة على المذبحة سَقَط ٥٣ شهيدًا فلسطينيًا أيضًا في مناطق مُتَفَرّقة ، ومنها «الخليلُ» نفسها.

وسَارَعَتِ الحكومةُ الإسرائيليةُ إلى إدانة المذبحة مُعْلِنَة تَمَسُّكَها بعمليّة السلام مع الفلسطينيين. كما سَعَتْ إلى حصر مسؤوليّاتها في شخص واحد هو «جولد شتاين» واكْتَفَتْ باعتقال عددٍ محدودٍ من رموز جَمَاعَتَيْ «كاخ» و«كاهانا» ممن أعلنوا استحسانهم جريمة «جولد شتاين» وأصْدَرَتْ قرارًا بحظر نشاط المُنَظّمَتَيْن . ولكن من الواضح أنّ كلّ هذه الإجراءات إجراءتٌ شكليّةٌ ليس لها مضمونٌ حقيقيٌّ. فالنخبةُ الإسرائيليةُ، وضمنها حكومةُ ائتلاف العمل، تَجَاهَلَتْ عن عمدٍ المساسَ بأوضاع المُستَوْطِنِيْنَ ، ومن ذلك نزعُ سِلاحِهم .

ولا شَكَّ فِي أن مُستَوْطَنَة «كريات أربع» في قلب «الخليل» (وهي المُستَوْطَنَة التي جَاءَ منها «جولد شتاين») تُمَثّل حالةً نماذجية سافرةً لخطورة إرهاب المُستَوْطِنِين الذين ظلّوا يحتفظون بأسلحتهم، بل حَرَصَتْ حكومةُ «العمل» ومن بعدها حكومةُ «الليكود» على الاستمرار في تغذية أحلامهم الاستيطانية بالبقاء في «الخليل» ودَغْدَغَة هَوَاجِسِهم الأمنيّة بالاستمرار في تسليحهم في مُوَاجَهَة الفلسطينيين العُزّل. بل تَعَمَّدَتْ حكومتا «العمل» و«الليكود» كلتاهما تأجيلَ إعادة الانتشار المُقَرَّر بمُقْتَضَى الاتفاقات الفلسطينية الإسرائيليّة؛ كي تضمن لحوالي أربعة آلاف مُستَوْطِن يهوديّ بالخليل أسبابَ البقاء على أسس عنصريّة مُتَمَيِّزة (أمنيّة ومعيشيّة) في مواجهة مائة ألف فلسطيني لا زالوا معرَّضِين لخطر مذابح أخرى على طراز «جولد شتاين».

وتَكْمُنُ أهميّةُ «جولد شتاين» في أنه يُمَثّل نموذجًا للإرهابيّ الصهيونيّ الذي لايزال من الوارد أن تُفرز أمثاله مرحلة ما بعد «أوسلو». ورغم أنّ مهنة «جولد شتاين» هي الطب فقد دَفَعَه النظامُ

الاجتماعيَّ التعليميّ الذي نَشَأ فيه كمستوطن إلى مُمَارَسَات عنصريّة اشْتَهَرَ بها، ومنها الامتناعُ عن علاج الفلسطينيين، و«جولد شتاين» يُطنْطِنُ بعبارات عن استباحة دم غير اليهود ويحتفظ بذكريات جيّدة من جيش إسرائيل الذي تَعَلَّم أثناءَ خدمته به ممارسة الاستعلاء* المُسَلَّح على الفلسطينيين. وهو في كل الأحوال كَمُسْتَوْطِن لا يفارقه سِلاحُه أينما ذَهَبَ.

ومما يُبَرْهِن على قابليّة تكرار نموذج «جولد شتاين» مُسْتَقْبَلاً قيامُ مُسْتَوْطِن آخر بإطلاق النار في سوق الخليل على الفلسطينيين العُزَّل بعد ثلاثة أعوام من مذبحة الحرم الإبراهيمي. وقد تَحَوَّل قبرُ «جولد شتاين» إلى مزار مُقَدَّس للمستوطنين الصهاينة في الضفة الغربيّة .

٣٧- مذبحة «قانا» ١٨ أبريل ١٩٩٦م

وقعت مذبحة «قانا» في يوم ١٨ أبريل ١٩٩٦م، وهي جزءٌ من عمليّة كبيرة سُمِّيَت «عمليّة عناقيدِ الغَضَب» بَدَأَتْ في يوم ١١ من الشهر نفسه واستمرَّتْ حتى ٢٧ منه حين تَمَّ وقفُ إطلاق النار. وتُعَدّ هذه العمليةُ الرابعة من نوعها للجيش الإسرائيليّ تجاهَ لبنان بعد اجتياح ١٩٧٨م وغزو ١٩٨٢م، واجتياح ١٩٩٣م، واسْتَهْدَفَتْ ١٥٩ بلدةً وقريةً في الجنوب والبقاع الغربيّة.

كانت هذه العمليةُ تَسْتَهْدِف ثلاثة أهداف أساسيّة غيرَ تلك التي أعْلَنَها القادةُ والزعماءُ الرسميّون والإعلاميّون في إسرائيل: الحدّ من علميّة تآكل هيبة الجيش الإسرائيليّ، ومُحَاوَلَة نزع سلاح حزب الله أو على الأقل تحجيمه* وتقييد نشاطه من خلال الضغط إلى الدرجة القصوى على القيادتين اللبنانيةِ والسوريّةِ لتحقيق هذا الهدف، ورفع معنويّات عُمَلاء إسرائيل في جيش لبنان الجنوبيّ المُوَالي للكيان الصهيونيّ الذي يعيش جندُه وقادتُه حالة رعب وقلق وارتباك وخوف على المصير المُتَوَقَّع بعد الوصول لتسويةٍ نهائيّةٍ للوضع في لبنان. وكانت الزعاماتُ الصهيونيّةُ في إسرائيلَ قد أعلنتْ أنّ الهدفَ من وراء هذه العمليّة هو أمن مُسْتَعْمَرَات الشمال وأمن الجنود الإسرائيليين في الحزام المُحْتَلّ في جنوب لبنان، إلا أن المُرَاقِبين رَصَدُوا تصريحاتٍ لوزراء الدفاع والخارجيّة؛ بل «شيمون بيريز» نفسه (رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت) تشير للأهداف الثلاثة التي ذكرناها سَلَفًا، ولا يمكن تجاهلُ اقتراب موعد الانتخابات الإسرائيليّة ورغبةِ رئيس الوزراء (شيمون بيريز) آنذاك في استعراض سُطْوَته وجبروته أمام الناخب الإسرائيليّ حتى يواجه الانتقاداتِ التي وَجَّهَها له المُتَشَدِّدُون داخلَ إسرائيل بعد الخُطُوَات التي قَطَعَها في سبيل تحقيق هذا القدر اليسير من التفاهم مع العرب .

فمنذ تَفَاهُم يوليو ١٩٩٣م الذي تَمَّ التَّوَصُّلُ إليه في أعقاب اجتياح ١٩٩٣م المعروف بعمليّة «تصفية الحسابات»، التَزَم الطرفان اللبنانيُّ والصهيونيُّ بعدم التعرّض للمدنيين. والتَزَم الجانبُ

اللبنانيُّ بهذا التفاهم وانصرَفَ عن مُهَاجَمَة شمال إسرائيلَ إلى مَحَاوَلَة تطهير جنوب لبنانَ من القوات التي احتَلَّته في غزو ١٩٨٢م المعروف بعمليّة «تأمين الجليل». ومع تزايد قوّة وجرأة حزب الله في مقاومة القوات المُحتَلّة لجنوب لبنان فزِعَتْ إسرائيلُ وشَرَعَتْ في خرق التفاهم ومُهَاجَمَة المدنيين قبل العسكريين في عمليّاتٍ محدودةٍ إلى أن فقدَتْ أعصابَها، الأمرُ الذي تَرْجَمَه «شيمون بيريز» إلى عمليّة عسكريّة يُحَاوِلُ بها أن يستردّ بها هيبة جيش إسرائيلَ الذي تَحَطَّم على صخرة المُقَاوَمَتَيْن اللبنانيةِ والفلسطينيةِ ويستعيد بها الوجهَ العسكريَّ لحزب العمل بعد أن فقدَ الجنرالُ السابقُ «رابين» باغتياله. ومما يُعَدّ ذا دلالة في وصف سلوك الإسرائيليين بالهَلَع هو حجمُ الذخيرة المُستخدَمة مُقارَنَة بضآلة القِطَاع المُستَهْدَف. فرغمَ صِغَر حجم القِطَاع المستَهْدَف عسكريًّا وهو جنوب لبنان والبقاع الغربيّة إلا أن طائراتِ الجيش الإسرائيليّ قامت بحوالي ١٥٠٠ طلعةٍ جويّةٍ وتَمَّ إطلاقُ أكثرَ من ٣٢ ألف قذيفة، أي أن المُعَدَّل اليوميّ لاستخدام القوات الإسرائيلية كان ٨٩ طلعة جوية، و ١٨٨٢ قذيفة مدفعية وقد تَدَفّق المُهَاجِرُون اللبنانيّون على مَقَارّ قوات الأمم المتّحدة المتواجدة بالجنوب ومنها مقرُّ الكتيبة الفيجيّة في بلدة «قانا»؛ فقامت القواتُ الإسرائيليّةُ بقذف المَوْقِع الذي كان يضمّ ٨٠٠ لبناني إلى جانب قيامها بمَجَازرَ أخرى في الوقت نفسه في بلدة «النبطية» و«مُجدل زون» و«سحمر» و«جبل لبنان» وعَاثَ في اللبنانيين المدنيين العزّل تقتيلاً .

وأسْفَرَتْ هذه العمليّةُ عن مقتل ٢٥٠ لبنانيًا منهم ١١٠ لبنانيين في «قانا» وحدَها، بالإضافة للعسكريين اللبنانيين والسوريّين وعددٍ من شُهَدَاء «حزب الله». كما بَلَغَ عددُ الجَرْحَىٰ الإجماليّ ٣٦٨ جريحًا، بينهم ٣٥٩ مدنيًا، وتَيَتَّمَ في هذه المجزرة أكثرُ من ٦٠ طفلاً قاصرًا.

وبعد قصف «قانا» سَرْعَانَ ما تَحَوَّل هذا إلى فضيحةٍ كبرى لإسرائيل أمام العالم؛ فسَارَعَتْ بالإعلان أن قصفَ المَوْقِع تَمَّ عن طريق الخطأ. ولكن الأدلة على كذب القُوَّات الإسرائيليّة بَدَأَتْ تظهر وتُمَثّلُ الدليلَ الأوّلَ في فيلم فيديو تَمَّ تصويرُه للموقع والمنطقةِ المُحِيْطَةِ به أثناءَ القصفِ وظَهَرَتْ فيه لقطة تُوْضِحُ طائرة استطلاع «إسرائيلية» بدون طيّار تُستَخدَم في توجيهِ المدفعيّةِ وهي تُحَلّق فوقَ المَوْقِع أثناءَ القَصْفِ المِدْفَعِيّ. بالإضافة لما أعلَنَه شُهُودُ العِيَان من العاملين في الأمم المتحدة من أنّهم شَاهَدُوا طائرتين مِرْوَحِيّتَيْن بالقرب من المَوْقِع المنكوب. ومن جانبه علّق رئيسُ الوزراء الإسرائيلي (شيمون بيريز) بقوله: «إنها فضيحة أن يكون هناك ٨٠٠ مدنيّ يقبعون أسفل سقف من الصّاج ولا تبلغنا الأممُ المتحدة بذلك». وجاء الردُّ سريعًا واضحًا، إذ أعْلَنَ مَسْؤُولُو الأمم المتحدة أنهم أخبروا إسرائيلَ مِرَارًا بوجود تسعة آلاف لاجئ مدنيّ يَحْتَمُون بمَوَاقِعَ تابعةٍ للأمم

المتحدة. كما أعلنوا للعالم أجمع أن إسرائيلَ وَجَّهَتْ نيرانَها للقوات الدوليّة ولمُنْشَآت الأمم المتحدة ٢٤٢ مرّةً في تلك الفترة، وأنهم نبَّهوا القوات الإسرائيليّة إلى اعتدائها على موقع القوات الدوليّة في «قانا» أثناءَ القصف. ولقد أكَّدَ تقريرُ الأمم المتحدة مسؤولية حكومةِ «شيمون بيريز» وجيشِه عن هذه المذبحة المُتَعَمَّدَة. ورغمَ الضغوط الأمريكيّة والإسرائيليّة التي مُوْرِسَتْ على الدكتور «بطرس غالي» أمين عامّ الأمم المتحدة آنذاك لإجباره على التَّستُّر على مضمون هذا التقرير فإنّ الدكتور «غالي» كَشَفَ عن جوانبَ فيه، وهو الأمرُ الذي قيل: إنّه كان من بين أسباب إصرار «واشنطن» على حرمانه من الاستمرار في موقعه الدوليّ لفترة ثانية.

وفي عام ١٩٩٧م اتَّخَذَتِ الجمعيّةُ العامّةُ للأمم المتحدة قرارًا يدعو إسرائيلَ لدفع تعويضات لضحايا المذبحة، وهو الأمرُ الذي رَفَضَتْه «تل أبيب» .

وتكتسب هذه المذبحةُ أهميّةً خاصّةً على ضوء أن حكومةَ ائتلاف العمل الإسرائيلي تَتَحَمَّلُ المَسْؤُوليّةَ عنها رغمَ ما رَوَّجَتْه عن سعيها الصادق من أجل السلام مع العَرَب ودعوة «شيمون بيريز» لفكرة «السوق الشرق أوسطية». ومن المُفَارَقات التي تَسْتَحِقّ التسجيلَ أنّه رغمَ قيامه بعمليّة «عناقيد الغضب» (ومذبحة قانا) إلا أنّها لم تُحَقّق أيًا من أغراضها المُبَاشِرَة أو غير المُبَاشِرَة، فالمُقَاوَمَة لاتزال مُسْتَمِرَّةً في جنوب لبنانَ و«بيريز» لم يُنتَخَب رئيسًا للوزراء.([٢٥])

* * *

([٢٥]) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د. عبد الوهاب المسيري، نقلا عن فلسطين في...ص:١٩٤.